
NORS
Translation
نـــورس للـــتــرجــمــة

مركز نورس للدراسات يقدم ترجمة لبحث

"ثالوث كلاوزفيتز: هل ما زال حيا؟"

دراسة قدّمها الباحث الدنماركي: كينيث ألجرين ستارسكوف

واعتمدتها مدرسة الدراسات العسكرية المتقدمة، كلية القيادة والأركان العامة بالجيش الأمريكي، في فورت ليفنوورث، بولاية كنساس، عام ٢٠١٣.

مختصر

إن المفهوم النظري الشارح Metatheory للبروسي كارل فون كلاوزفيتز المعروف باسم الثالوث له القدرة على العمل كأداة تحليلية لفهم الحرب في سياق تاريخي ومعاصر. ومع ذلك فإن الفهم الخاطئ التاريخي المتأصل يقيد الثالوث من الوصول إلى كامل إمكاناته. أحد العناصر الثلاثة وهي السياسة، يشير مباشرة إلى شكل الحكومة الممثلة بالدولة القومية. وبالتالي يجادل المنتقدون بأن علاقة الثالوث الوحيدة موجودة في حالة حروب الدول. يمتلك كلاوزفيتز عقلًا ذكياً للغاية ويبدو للكثيرين أنه من غير المرجح أن يقيد نظريته في نموذج الحكم للدولة القومية. في الواقع فقد جادل العديد من العلماء على أهمية نظريته في حالات غير الدول. ومع ذلك فقد افتقر إلى القدرة على التعبير عن أفكاره بطريقة مقبولة لعصرنا، تاركًا نظريته مفتوحة للنقد، لا سيما من قبل المتخصصين في الحروب غير النظامية أو العصابات.

تطوِّر هذه الدراسة ثالوث كلاوزفيتز عن طريق استبدال السياسة بالمفهوم الأعم للأيديولوجية (الفكر)، مما يدل على وجود وسيلة واضحة لإثبات صلة الثالوث بحروب القرن الحادي والعشرين. لإثبات هذا الأمر، فإن دراسة حالة واحدة في كلٍ من القرن التاسع عشر والقرن العشرين والقرن الواحد والعشرين توضح دور الأيديولوجيا (الفكر) في كل صراع، وتوضح كيف يمكن لهذا المصطلح أن يحل محل "السياسة" في الثالوث الكلاوزفيتزي التقليدي، مما يوسع للمنظِّر نظرته الفكرية للقومية وسياسة الدولة إلى المفهوم الأعم للفكر وتطبيقاته المختلفة التي تخدم في جوهرها نفس الدور الذي تلعبه السياسة في الممارسة.

الفهرس

ثالوث كلاوزفيتز، هل ما زال حيا؟

الحرب أكثر من مجرد حرباء حقيقة، تغير طبيعتها إلى حد ما في كل حالة محددة. وهي كظاهرة عامة فإن توجهاتها الحاكمة تجعل الحرب ثالوثاً بارزاً يتألف من:

١- عنف بدائي وحقد وعدوانية، ويمكن اعتبارها قوة طبيعية عمياء.

٢- لعبة الحظ والاحتمالية ضمن وحيث تكون الروح المبدعة حرة في الانطلاق.

٣- ومن عناصر أو أجزاء ثانوية (تابعة) كمادة (كأداة) للسياسة، الأمر الذي يجعلها موضوعاً للفكر وحده.

كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب

المقدمة

إن المفهوم النظري الشارح Metatheory للبروسي كارل فون كلاوزفيتز المعروف باسم الثالوث له القدرة على العمل كأداة تحليلية لفهم الحرب في سياق تاريخي ومعاصر. ومع ذلك فإن الفهم الخاطئ التاريخي المتأصل يقيّد الثالوث من الوصول إلى كامل إمكاناته. أحد العناصر الثلاثة وهي السياسة، يشير مباشرة إلى شكل الحكومة الممثلة بالدولة القومية. وبالتالي يجادل المنتقدون بأن علاقة الثالوث الوحيدة موجودة في حالة حروب الدول. يمتلك كلاوزفيتز عقلًا ذكياً للغاية ويبدو للكثيرين أنه من غير المرجح أن يقيد نظريته في نموذج الحكم للدولة القومية. في الواقع فقد جادل العديد من العلماء على أهمية نظريته في حالات غير الدول. ومع ذلك فقد افتقر إلى القدرة على التعبير عن أفكاره بطريقة مقبولة لعصرنا، تاركًا نظريته مفتوحة للنقد، لا سيما من قبل المتخصصين في الحروب غير النظامية أو العصابات.

يوجد حل بسيط إلى حد ما يمكنه حل هذه المعضلة، على الرغم من أنه لم يلاحظها أحد من المترجمين (الشارحين) أو النقاد المعاصرين في كلاوزفيتز حتى الآن. من خلال استبدال مصطلح "سياسة" بمفهوم "الأيديولوجية" الأكثر عمومية، يمكن للمرء تحديث ثالوث كلاوزفيتز حتى يتمكن من الوصول إلى كامل إمكاناته. فالأيديولوجيا (الفكر) كمفهوم أكثر تجريداً وتعميماً من السياسة،

يمكن أن تخدم الغرض الذي قصده كلاوزفيتز لهذا الجزء من الثالوث مع تجنب مشكلة حصره في عصر معين أو شكل من أشكال الحرب.

وقد اكتسب كلاوزفيتز العديد من الألقاب منذ نشره في عام ١٨٣٢ لكتابه عن الحرب، تحفة أعماله النظرية العسكرية مثل: عبقري عسكري عالمي وخالد؛ أو الغارق في أفكار عفا عليها الزمن في القرن التاسع عشر؛ أو والد التفكير العسكري الحديث والنظرية العسكرية الحديثة؛ أو المصدر الرئيسي للفن العملياتي المعاصر. يتنافس المؤرخون وعلماء الاجتماع والاستراتيجيون والمنظورون في العلاقات الدولية على حد سواء لتمييز أنفسهم كأبطال ترجمة كلاوزفيتز وتفسيره وفهمه. يسعى البعض لإثبات أهميته الأبديّة، في حين يحاول آخرون نفي مكانة كلاوزفيتز الأسطورية، كمنظر عسكري يمتلك أهمية خالدة لكل جوانب ظاهرة الحرب. بالنسبة للممارسين العسكريين في القرن الواحد والعشرين الذين يقرؤون إبداع كلاوزفيتز (عن الحرب)، فإن القضية الواضحة هي صلة نظريته بالعمليات العسكرية اليوم. يبدو أن الممارس العسكري يجب أيضاً أن يختار النظر إلى كلاوزفيتز إما كديناصور أثري، مثير للاهتمام فقط فيما يتعلق بأهميته التاريخية، أو بدلاً من ذلك النظر في نظريات كلاوزفيتز ككتاب مقدس خالد. يبدو أن جيش الولايات المتحدة قد اختار إلى حد كبير هذا التفسير الأخير، غَرسُ كلاوزفيتز وعَرضُ كِتاباتِه كعنصر رئيسي في المناهج الدراسية لضباط الصف الميداني، والمخططين على المستوى العملياتي، والقادة، والضباط العامين (من رتبة فريق أول) المستقبليين. حتى أحد المراقبين واسمه ستيفن إل. ميلتون وهو استاذ مساعد من كلية القيادة والأركان العامة بالجيش الأمريكي، ينسب لكلاوزفيتز بما يحدده ميلتون كإخفاقات أخيرة للجيش الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام. وقبله آخرون مثل الضباط البريطانيين النقيب والمفكر العسكري بازل هنري ليدل هارت واللواء جون فريدريك تشارلز فولر والمؤرخ جون كيجان كلهم أرجعوا أهوال الحرب العالمية الأولى إلى عقلية واستراتيجية كلاوزفيتز ومفاهيمه.

في الواقع يشعر الممارسون العسكريون بالتأثير الكامل لمفاهيم ونظريات كلاوزفيتز الهامة مثل الاحتكاك وعدم اليقين والعبقرية العسكرية ومركز الثقل والصدفة والخطر. وعادة ما يكون لدى أولئك الذين يخدمون في الجيش وخاصة قدامى المحاربين احترام عميق وتقدير للأصل التاريخي

والسياسي للمهنة العسكرية، حيث أنهم يكرمون التضحيات التي قدمها أسلافهم. ومع ذلك لا محالة فإن الأثر النهائي الذي لا يمكن عكسه وطبيعة القتال تدفع الممارسين العسكريين على التركيز على النظريات والمبادئ التي لها صلة بتطبيق القوة العسكرية في زمانهم الخاص. **لم يحاول كلاوزفيتز استنباط نظرية توجيهية للحرب. سعى إلى تحديد الحقائق الكونية حول ظاهرة الحرب حتى عندما أكد على طبيعتها الدائمة التغير والتي لا يمكن التنبؤ بها. في الكلام التالي حاول شرح ذلك: "الغرض الأساسي لأي نظرية هو توضيح المفاهيم والأفكار التي أصبحت (كما كانت) مربكة ومعقدة "**

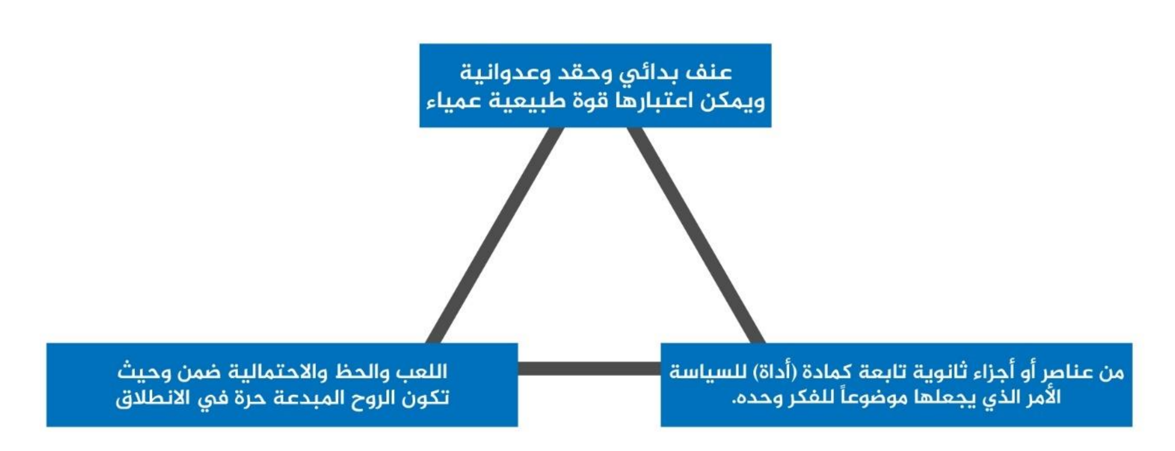
ستكون النظرية قد أنجزت مهمتها الرئيسية عندما يتم استخدامها لتحليل العناصر المكونة للحرب، للتفريق بدقة ما يبدو للوهلة الأولى أنه واحد، ولتوضيح كامل خصائص الوسائل المستخدمة ولإظهار آثارها المحتملة، وللتعريف بوضوح طبيعة الأهداف المزمعة، وإلقاء الضوء على جميع مراحل الحرب في عمل بحثي نقدي شامل. **تصبح النظرية بعد ذلك دليلاً لأي شخص يريد معرفة الحرب من الكتب؛ سوف تضيء طريقه، وتسهل من تطويره، وتدرب ملكته، وتساعده على تفادي العثرات.**

وصف المؤرخ كريستوفر باسفورد الثالوث بأنه النظرية الشارحة السامية التي تربط جميع نظريات ومفاهيم كلاوزفيتز بعضها ببعض. وبالتالي فإنها تبقى أحد العناصر الأكثر إثارة للجدل في نظرية كلاوزفيتز وبالتأكيد العنصر الأكثر استحقاقا للدراسة لأي ممارس عسكري معاصر. يتكون الثالوث من المكونات الأساسية الثلاثة التي جادل كلاوزفيتز في أن أي نظرية عسكرية كاملة يجب أن تفسرها. في جوهرها فإنها تمثل نظرية كلاوزفيتز الشارحة للحرب.

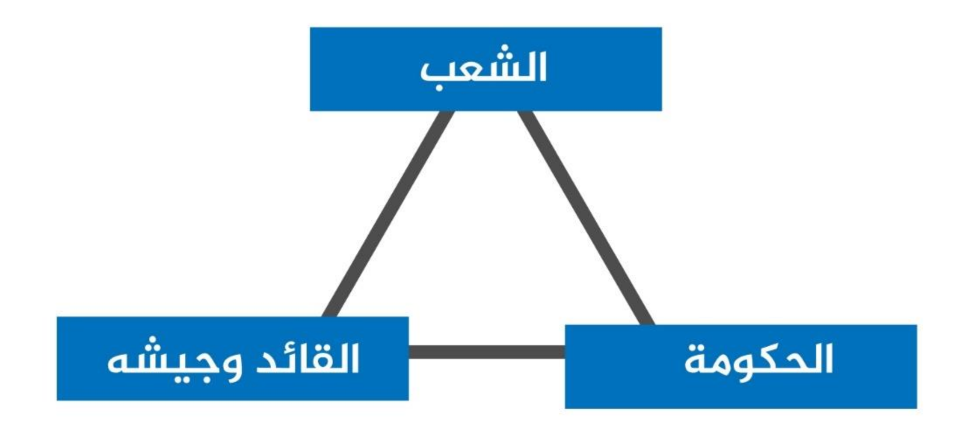
يُعرف الشكل الموضح أعلاه باسم "الثالوث الأوّلي"؛ حيث إنه النص الفعلي من كتاب عن الحرب. ومع ذلك فهو ليس الاقتباس الأكثر شيوعًا للثالوث. في كثير من الأحيان حتى يقتبس العلماء ما يسمى "الثالوث الثانوي" – الشعب والحكومة والجيش – الذي هو مجرد مثال يستخدمه كلاوزفيتز لتوضيح وجهة نظره. وعلاوة على ذلك فإن "الثالوث الثالثي" يتألف من اللاعقلانية

والعقلانية وغير العقلانية، والتي توضح بشكل أفضل ما كان يقصده كلاوزفيتز بالفعل مع البناء الثالوثي.

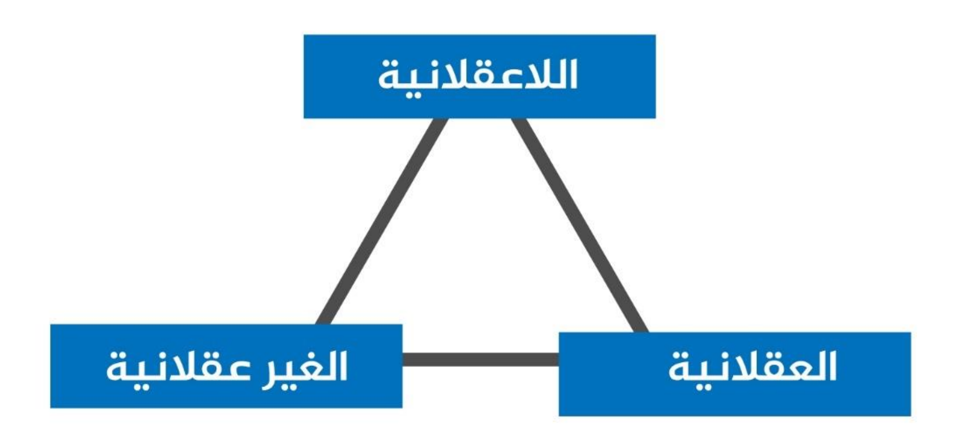
الثالوث الأولي



الثالوث الثانوي



الثالوث الثالثي



كمثال على الخلاف حول ترجمة "عن الحرب"، ترجم مترجمون مختلفون للنص الكلمة الألمانية "wunderliche" – وهي الصفة المعدلة لمصطلح "الثالوث" – إلى ما لا يقل عن سبع كلمات إنجليزية مختلفة. في ترجمته عام ١٨٧٣ استخدم المؤرخ جون جراهام الترجمة التي تبدو أكثر صراحة بكلمة "رائع wonderful"، في حين أنه في ترجمة الكتاب عام ١٩٤٣ استخدم دكتور الفلسفة أوتو جولي ماثجيس جوليس كلمة "غريب strange". أنتج مايكل هوارد وبيتر بارت الطبعة الإنجليزية الطبعة الأكثر انتشاراً اليوم من كتاب عن الحرب – أتيحت لأول مرة في عام ١٩٧٦ وأعيد طبعها في طبعة منقحة في عام ١٩٨٤. في عام ١٩٧٦ ترجم هوارد وبارت "wunderliche" إلى "بارز remarkable"، لكنهم غيروا الترجمة إلى "paradoxical متناقض (غير معقول)" في طبعة ١٩٨٤. لكن في مقدمة الكتاب عام ٢٠٠٧ ناقش هوارد اختيار الكلمة ليستقر بعدها على "مذهلة (مميز)" amazing. قدم مؤرخان آخران ممن قرآ كتاب عن الحرب وعلقوا بكتب ومقالات حول المشاكل المختلفة التي يرونها في ترجمتها إلى الإنجليزية، وهما أنتوليو إتشفاريا وكريستوفر باسفورد، قدما بدائل أخرى لمصطلح "متناقض" كواصف للثالوث. فضل إتشفاريا "باهر wondrous"، بينما استخدم باسفورد "أخاذ facinating" كترجمة ل wunderliche.

قد تبدو هذه المناقشات في الدلالات اللفظية غير ذات أهمية بالنسبة للمراقب العادي، ولكن بالنظر إلى مدى تعقيد نظرية كلاوزفيتز وتأثيرها على نطاق واسع، تظل هذه المسائل مثيرة للجدل الحاد بين من يدرسون كتاب عن الحرب. بالنسبة إلى الممارس العسكري على الأقل، فإن جانب الحرب الذي أشار إليه كلاوزفيتز باسم النظرية الشارحة للثالوث، أو تلك الأمور التي يجب التفكير فيها عند التنظير للحرب، تمثل هذا المفهوم الواسع بحيث جميع الترجمات المذكورة أعلاه تحتوي على بعض الفوائد وبعض العيوب. يمكن للمرء حتى إضافة مرادفات مثل "مذهل" أو "مدهش" أو "صاعق" إلى القائمة. قد يبدو كلمة أخاذ لباسفورد هو أكثر ما يلتقط جوهر النهج النظري البحت في دراسة النظرية الشارحة للحرب، وبالتالي سوف يخدم أهداف هذه الدراسة على أفضل وجه. أما بالنسبة إلى الممارسين العسكريين، فغالباً ما يكون من الضروري الاقتراب من الحرب بوجهة نظر أقل عاطفية وأكثر انتقادية. لذلك فيما يتعلق بالجدال المنشور هنا، فإن أي من البادئات الكثيرة الخاصة بالثالوث لا يمكن أن يكون لها تأثير كبير على التحليل النهائي والاستنتاج النهائي.

توضح شدة الجدال حول هذه النقطة فقط مقدار الطاقة الفكرية التي يميل الخبراء إلى صرفها على تحليل ثالوث كلاوزفيتز. من ناحية فإن الثالوث يجذب الانتباه السلبي كثيرًا وهو أحد عناصر نظريته التي ينتقدها الخبراء في أغلب الأحيان. على وجه التحديد يشير هؤلاء النقاد إلى دور السياسة في الثالوث كنوع من الضعف. كما يجادلون بأن السياسة تتعلق بشكل مباشر وحصري بالدولة القومية، مما يجعل الثالوث غير ذي صلة في الحروب غير النظامية الحديثة في كثير من الأحيان، وهي حروب تشمل كلاً من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية. عند دراسة الثالوث يواجه الممارس العسكري أيضًا النقد الموجه من قبل كل من المؤرخين وعلماء الاجتماع بأن تحديد كلاوزفيتز للحرب "كأداة للسياسة" لا يصف بشكل كافٍ المصدر الواسع النطاق للدوافع التي تغذي الأطراف الفاعلة في القرن الواحد والعشرين في مناطق عملها. لا يبدو أن الإرهابيين أو الثوار أو المتمردين أو القراصنة أو المجرمين أو القبائل أو المتعاقدين المدنيين أو المنظمات غير الحكومية أو غيرهم من الجهات الفاعلة غير الحكومية، مدرجين بشكل مرضٍ في مصطلح "السياسة" والذي يشير إلى حد كبير إلى الجهات الفاعلة الحكومية. إذن المطلوب هو أن نحدد من أي فكرة مجردة تستمد الجهات الفاعلة الغير حكومية دوافعها، وبالتالي تجد وسيلة منطقية لتحليل أفعالها.

على الرغم من أن كلاوزفيتز كتب نظرية تجريدية ذات صلة تجريبية بالحرب، فقد وقع ضحية لانحياز شخصي لم يتمكن من التغلب عليه بشكل كامل في حياته. كانت رؤيته الكونية جليةً في إطار القومية (الدولة القومية)، حيث عاش خلال ذروة نظام دول وستفاليا (نظام سياسي عرّف الدولة ومعاييرها). علاوة على ذلك نشأت نزعة كلاوزفيتز القومية من رغبته في رؤية بروسيا تستعيد وضعها السابق كقوة عظمى بعد هزيمتها المخزية من قبل نابليون في معركتي جينا وأويرشتيد وقيام الفرنسيين بعد ذلك بأسره، وتفكيك نابليون لاحقًا للحكومة البروسية وفرض الحكم الفرنسي. وهكذا نظر كلاوزفيتز – وكذلك نظرياته العسكرية المعاصرة – إلى كل الحروب من خلال عدسة القومية. منعت هذه الرؤية الكونية كلاوزفيتز من الوصول إلى العالمية والتجرد الحقيقيين كما يتجلى في استخدامه لمصطلح "السياسة"، والذي ربطه بالدولة. وبالتالي فإن محاولته تقديم بناء عام للعوامل الثلاثة الرئيسية النظرية العالمية للحرب عبر الثالوث يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أنها تبدو أنها لا صلة لها خارج السياق حروب الدول.

لقد أدرك كلاوزفيتز (وهو طالب متحمس في التاريخ) بأن الأنظمة –بما في ذلك نظام الدولة– آيلة للسقوط من بعد الصعود. كان ببساطة يفتقر إلى المعرفة ببنية موثوقة يمكن أن تحل محل الدولة باعتبارها تجسيدًا مستقبليًا للعنصر العقلاني في نظريته الشارحة.

من أجل مفهوم أعم يتم استبدال "السياسة" وبالتالي جعل الثالوث ذي صلة بالممارس العسكري المعاصر الذي يحلل الحرب في القرن الواحد والعشرين، يجب أن يأخذ هذا المفهوم بالحسبان مصدر للأفكار الأساسية للجهات الفاعلة. يستمد الناس عادة قناعات أساسية من إحدى (أو مزيج) من ثلاثة مفاهيم – الثقافة والدين والفكر.

أشار المؤرخ جون كيجان إلى أن الحرب غالباً ما تعبر بشكل مباشر عن الثقافة أكثر مما تعبر عن السياسة، حيث أن الثقافة كمفهوم تشمل أكثر بكثير من السياسة أو السياسات. على وجه التحديد أكد كيجان بأن:

كلاوزفيتز كان رجل عصره، وليد عصر التنوير، معاصراً للرومانسيين الألمان (مذهب فلسفي)، وهو مصلح عملي ومفكر، ورجل أفعال، وناقد لمجتمعه، ومؤمن بشدة بضرورة تغييره. كان مراقباً

بدقة للحاضر ومحباً للمستقبل. حيث فشل في رؤية مدى عمق تجذره في ماضيه، ماضي طبقة الضباط المحترفين في دول أوروبا الوسطى. لو كان عقله قد زُوِد ببعد فكري إضافي واحد فقط – وكان بالفعل ذو ذهن شديد التعقيد – لربما تمكن من إدراك أن الحرب تتضمن أكثر بكثير من مجرد السياسة. إنها دائمًا تعبير عن الثقافة، وغالبًا ما تكون محددًا للأشكال الثقافية وفي بعض المجتمعات تكون هي الثقافة بحد ذاتها.

إذن يمكن للمرء أن يجادل بأن الثقافة يجب أن تحل محل السياسة بدلاً من الأيديولوجية في ثالوث كلاوزفيتز.

يسرد قاموس ميريام ويبستر Merriam–Webster تعريفين ذوي صلة بالثقافة:

(١) النمط المتكامل للمعرفة البشرية والمعتقد والسلوك الذي يعتمد على القدرة على التعلم ونقل المعرفة إلى الأجيال المتعاقبة

(٢) المعتقدات العرفية والتكوينات الاجتماعية والسمات المادية لمجموعة عرقية أو دينية أو اجتماعية.

وكما يشير كلا التعريفين يمكن أن يشمل المجتمع ثقافات متعددة. على الرغم من أنه يمكن أن يكون من الصعب للأفراد الانضمام إلى ثقافة ما، يمكن لأفراد ثقافة ما أن يتركوها لأسباب مختلفة. التعاريف تشير أيضا إلى الجانب الزمني للألفة الثقافية. يستغرق إنشاء ثقافة وقتاً طويلاً، وتميل الثقافة إلى تجاوز الزمن، على الرغم من أن الأفكار التي قد يعتبرها المرء غير متسقة نسبيًا مع الثقافة المحلية السائدة يمكن أن تهيمن على نظام معتقدات المجتمع لفترة معينة بشروط معينة.

يأخذ عالم الأنثروبولوجيا كليفورد غيرتز نهجاً عاماً وتفسيرياً للثقافة، عندما يعرّفها باستخدام تشبيه: "... مثل الإنسان كحيوان معلق بشباك من مفاهيم نسجها بنفسه، أنا أرى الثقافة هي تلك الشباك، وبناء على ذلك فتحليلها هي البحث عن معنى. هذا هو التفسير الذي أتعقبه، وهو بناء التعبير الاجتماعي على غموضه السطحي (الظاهر)." وهكذا على الرغم من أن الثقافة توفر نظرة ثاقبة لدراسة الحرب وكيفية إجرائها، لا توفر الثقافة بالضرورة الدافع لجميع الأطراف المتحاربة

للشروع بالحروب والاستمرار فيها وتسويتها وإنهائها. فالصورة من السهل تشويهها وتعقيدها إذا أخذت نقطة المنشأ في الثقافة كعنصر ثالث في الثالوث في كلاوزفيتز، ومن ثم يصبح المنطق البديهي للأطراف المشاركة في الحرب غير واضح. علاوة على ذلك وكما توضح التعاريف السابقة فإن الثقافة تعكس سمات محددة للمجموعات الفردية في فترات معينة؛ لذلك فهي تفتقر إلى الطبيعة المجردة (التجريدية) لتكون بمثابة سمة عامة للحرب. وبدلاً من ذلك تمثل الثقافة دائماً سمة محددة ليس فقط لشكل من أشكال الحرب، ولكن كل حرب بعينها قد يرغب البعض في دراستها. أخذ المؤرخ جون أ. لين هذا النهج عندما درس الحرب والقتال من منظور ثقافي. على الرغم من أن وصفه للثقافة كعامل محدد لإدارة الحرب، فإنها تنتمي إلى جميع عناصر الثالوث وليس على وجه التحديد العنصر العقلاني.

إن مكونات مجموعة محددة أو ثقافة بلد، يمكن أن ترتبط بالعنف البدائي والكراهية والعدائية، مثل أسطورة حضرية حول الفظائع التي ترتكبها القرى المجاورة تجاه المجموعة الثقافية منذ مئات السنين، يمكن أن تكون متأصلة في الثقافة. وبالمثل فإن الطريقة التي تحكم بها المجموعة يمكن أن تنجم عن قرون من التقاليد. وبالتالي فإن السياسة لا تعكس بالضرورة تبعية العقل مثل التقسيم المعاصر للسلطة الفعلية، وحجم السكان أو المجموعات العرقية إلخ. ومن ثم يجب على الممارس العسكري أن يدرك أهمية الثقافة عند تحليل الحرب، إما بالتفصيل أو بشكل عام، ولكن بالنظر إلى خصوصية سياقها، فلا يمكن أن تكون الثقافة بمثابة بديل أعم من السياسة في الثالوث الكلاوزفيتزي.

في العديد من الصراعات عبر التاريخ خدم الدين كسبب أو مبرر لخوض الحرب. نشأت الفتوحات العربية في القرنين السابع والثامن بشكل رئيسي من الرغبة في توسيع الخلافة الإسلامية. وبالمثل فإن الحروب الصليبية بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر تشترك في الهدف المتمثل في استعادة القدرة على وصول المسيحيين إلى مدينة القدس المقدسة وغيرها من المواقع الدينية الرئيسية في المنطقة. بدأ التمرد الهولندي الذي دام ثمانين عامًا ضد التاج الإسباني في عام ١٥٦٦ كصراع بين الهولنديين البروتستانت والإسبان الكاثوليكيين. كانت حرب الثلاثين عاما

(١٦١٨-١٦٤٨) (وهي سلسلة من أكثر الحروب تدميرا في التاريخ الأوروبي) تتألف عموماً من سلسلة من الصراعات بين البروتستانت والكاثوليك.

ومع ذلك فإن الدين رغم أهميته بالنسبة للبلدان والجهات الفاعلة على حدة لا يفسر سبب جميع الصراعات والحروب. في كل من الحرب العالمية الأولى والثانية على سبيل المثال لعب الدين دورًا ثانويًا – بل غير مهم. بالإضافة إلى ذلك فقد اشتملت العديد من الحروب على الجهات الفاعلة أو الائتلافات التي حاربت معًا على الرغم من اختلاف المعتقدات الدينية للجماعات المتعاونة. **مرة أخرى كما هو الحال مع الثقافة فإنه هذا الأمر لا يقلل من أهمية الدين كمكون أساسي للحرب.** خاصة على المستوى الفردي يستمد الجنود الكثير من دوافعهم الشخصية وشجاعتهم من دينهم. وبالمثل يستمر الدين في الظهور كعامل سببي في صراعات القرن الواحد والعشرين. ومع ذلك لا يمتلك الدين قابلية التطبيق العامة أو الشمولية اللازمة لجعله بديلاً كاملاً ومرضياً عن السياسة في ثالوث كلاوزفيتز.

على النقيض من ذلك فإن مفهوم الأيديولوجية يأخذ طابعًا أساسياً أكثر، ولكنه محدد زمانياً بشكل عام. بالنسبة للبشر فإن الأيديولوجيات ترسم خريطة العالم السياسي والاجتماعي. تقدم الإيديولوجيات المختلفة تفسيرات متنافسة للواقع المدرك وتبني نمطاً أو هيكلاً يستخدمه البشر لتفسير الأحداث. كل كائن بشري يحتاج إلى مثل هذه الهياكل بغض النظر عما إذا كانوا مدركين لها بوعيهم.

يعرّف قاموس ميريام وبستر الأيدلوجية على أنها:

(١) فرع من المعرفة المعنية بأصل الأفكار وطبيعتها

(٢) طريقة أو محتوى من خصائص التفكير لمجموعة فردية أو ثقافة

(٣) مجموعة متكاملة من المفاهيم والنظريات والأهداف التي تشكل برنامجًا اجتماعيًا سياسيًا.

نشأ هذا المصطلح من الفيلسوف أنطوان ديستوت دي تريسي Antoine destutt de tracy، الذي سعى بعد الثورة الفرنسية إلى إنشاء فرع من المعرفة يركز على الدراسة المنضبطة للأفكار.

في هذا الجهد اتبع دي تريسي شكلاً محدداً من المعرفة يتوافق إلى حد كبير مع المثل التنويرية للتحقيقات العلمية الدقيقة في كل جانب من جوانب النشاط البشري. وهكذا تعمل الأيديولوجية كمصدر أساسي للأفكار التي تدفع مجموعة محددة أو المجتمع. ويترتب على ذلك أن الأفكار الأساسية للجماعة أو المجتمع تنبع من العديد من المصادر – بما في ذلك على سبيل المثال الثقافة والدين. على سبيل المثال كان تفسير هتلر الخاص للتاريخ وانحيازه العرقي العميق بمثابة أساس الفكر النازي، الذي سيطر على أفعال الشعب وفي بعض الحالات على معتقداته بأكمله لأكثر من عقد من الزمان. على الرغم من ذلك لا الثقافة ولا الديانة الألمانية يمكن أن تفسر بشكل مُرضٍ نمو النازية وهيمنتها. يمكن للأيديولوجية بعد ذلك أن تتخذ طابعاً تجريدياً وعاملاً مناسباً ليحل محل السياسة في ثالوث كلاوزفيتز، ولكن في الوقت نفسه يمكن وضع أيديولوجية لوقت محدد، وبالتالي تحديد خصوصية السياق لمصدره وتبعاته. **وبالمثل يمكن للأيديولوجية أن تفسر لماذا يمكن للناس من خلفيات دينية وثقافية مختلفة أن يجدوا أرضية مشتركة ليقاتلوا معاً من أجل هدف مشترك.** هؤلاء الأشخاص المختلفون يجدون أرضية مشتركة في الأيديولوجية، وهي سرد أساسي يتألف من عدة مصادر مختلفة للأفكار المبتكرة، والتي توفر كلاً من الهدف والحافز لخوض الحرب. **الثقافة والدين على العكس، فإنهما يميلان إلى أن يكونا مفاهيم أكثر تحديدًا، والتي ترتبط بشكل أسهل بالثالوث الثانوي.** تفتقر المفاهيم إلى التعميم اللازم لإثبات وجودهم في الثالوث الأوّلي ويتعلقون أكثر بالعناصر الأساسية للعنف والكراهية والعدائية (الأشخاص في الثالوث الثانوي)، من العقل (الحكومة في الثالوث الثانوي). من ناحية أخرى لا تتعلق الأيديولوجية فقط بالعنف البدائي والكراهية والعداء؛ إنه مفهوم أكثر عمومية للمصدر الرئيسي للأفكار الأساسية للشخص أو المجموعة ويشمل رؤيتهم الكونية. ومن ثم فإن الأيديولوجية تؤهل كعنصر في الثالوث الأوَّلي، حيث يمكن للمرء أن يتتبع الأفكار / الرؤى الكونية في سياق معين إلى الأيديولوجية التي تنطلق الافكار منها.

يقترح المؤرخ الهولندي بارت شورمان، في معرض دعمه لهذا الخط من النقاش، في التعليق على تطبيق الثالوث العملي في الحرب العالمية على الإرهاب في القرن الواحد والعشرين ما يلي:

قد يجذب الثالوث الأولي باحثًا للنظر إلى ما هو أبعد من الجانب العنيف للإرهاب نحو دوافع الجاني العقلانية أو المادية. قد تسهم هذه المقاربات لمشكلة الإرهاب الدولي مجتمعة بشكل كبير في فهم أكثر دقة للخصوم غير المتماثلين، والتخلي عن الميل غير المفيد لتصوير المجموعات هذه كمتعصبين مجانين وتبحث بدلاً من ذلك عن العوامل التي تدفع الناس إلى مثل هذه التطرف.

تؤثر الأيديولوجية على الطريقة التي ينفذ بها المتحاربون الحرب. إنها تحدد حدود الخطأ والصواب، وتحدد ما يخدم المثل الأعلى، وتسمح للأفراد بتحديد ما إذا كان تحقيق الهدف المنشود يبرر تطبيق وسائل محددة. لذلك من خلال استبدال السياسة بمفهوم الأيديولوجية الأعم، يمكن للمرء تحديث ثالوث كلاوزفيتز بحيث يمكن استخدامه كأداة مفيدة للتنظير حول الحروب بجميع أطيافها، بدءًا من حروب الدول إلى الحروب غير النظامية والإرهاب. بل وأكثر من ذلك يبدو من المنطقي إجراء هذا التعديل، باعتبار أن النزعة القومية كانت بمثابة الشكل المحدد للأيديولوجية التي هيمنت خلال فترة حياة كلاوزفيتز.

ينبغي على المرء أن يفكر في إمكانية أن يكون كلاوزفيتز نفسه قد عرف وتقبل هذا الشي على أنه صحيح، ولكنه افتقر فقط إلى لغة التعبير عن الأفكار بوضوح في كتابه عن الحرب. يشير الألماني كارل شميت في دراساته حول مفهوم الحزبية، إلى أن الشخصية السياسية للحزب مقابل الدولة، يمكنها لوحدها فقط أن توحد المقاتلين النشطين تماما. بالإضافة إلى ذلك يشير شميت الى أن كلاوزفيتز كان على علم بالديناميات المتضمنة في الثورات. في الواقع كتب كلاوزفيتز رسالة بدون ذكر اسمه في عام ١٨٠٩ تعليقا على مقال حول مكيافيلي. وذكر في الرسالة "اليوم يستطيع الفرد أن يحقق أكثر من خلال التحفيز والتضخيم المستمر للقوى الفردية أكثر من القوى ذات الشكل الجماعي."

يبدو من الواضح أن كلاوزفيتز لم يكن يعني قوى لا يمكن السيطرة عليها من العنف البدائي والكراهية والعداوة، بل أشار إلى قوة قابلة لأن تُحكَم بسهولة أكثر. ومضى كلاوزفيتز يقول: "إن شجاعة الأفراد الذين يواجهون معركة وشيكة أمر حاسم، لا سيما في أفضل الحروب، عندما يُقاد شعب على أرضه للنضال من أجل الحرية والاستقلال". مرة أخرى يؤدي مفهوم القيادة والتنظيم

لهدف أسمى إلى التشكيك في النقد القائل بأن كلاوزفيتز أشار حصرا إلى العنصر اللا عقلاني (العاطفي) للثالوث. من ناحية أخرى يفتقر مفهوم السياسة إلى قدرة تفسيرية كافية لتحديد بوضوح الدافع الذي يدفع الأمة للدفاع عن نفسها. إذن يبدو من الغريب بأن كلاوزفيتز لم يوسع مفهوم السياسة إلى مفهوم عام وشامل. ربما أدرك كلاوزفيتز في الواقع أن العنصر العقلاني للثالوث تجاوز السياسة، لكن العلماء المعاصرين لكلاوزفيتز يرفضون ببساطة فكرة كهذه على أنها مستحيلة، بالنظر إلى النزعة القومية التي كانت طاغية على شعب عصره. حتى لو حاول كلاوزفيتز ربما لم يتمكن من إقناع زملائه العلماء والممارسين العسكريين بأن الدولة القومية لم تكن المصدر الوحيد للسياسة المتعلقة باتخاذ القرارات حول شن الحرب، أو الدافع وراء خوض الحروب. وهكذا حتى لو كان فهم التحديد الدقيق لها، كان سيفهم كلاوزفيتز أن السياسة هي المفهوم الأكثر احتمالا للحصول على موافقة مجتمع الخبراء بتجسيد (إبراز) النظرية العسكرية. الفكر أو ما يشبهه من المفاهيم لم تكن موجودة كعلم مستقل مصنف في أوائل القرن التاسع عشر وفي أوساط الأكاديميين، كانت القدرة على تصنيف المعرفة وإشراكها مع فرع معين من الأوساط الأكاديمية مسيطر عليه بشكل كبير. لذلك وعلى الرغم من أن كلاوزفيتز كان من الممكن أن يقدم خطًا ماديا للجدال، لم تكن هناك أي حجج منطقية أو مفاهيمية يمكن أن يعتمد عليها لدعمها. في الواقع كما يشير شورمان لا يشير ثالوث كلاوزفيتز إلى أي شيء يتعلق بالكيان الاجتماعي-السياسي الذي يشن الحرب والثالوث الثانوي هو مجرد مجموعة من الأمثلة التي تدعم الإطار النظري الشارح الذي قدمه كلاوزفيتز.

كانت هذه الطريقة الجدلية في التحقيق جزءًا هامًا من طريقة بناء كلاوزفيتز لتأليف عن الحرب. سوف يناقش كلاوزفيتز المفهوم المنطقي البحت لطرفي النقيض، قبل وصف الواقع كما هو في الحرب الفعلية. يقع الواقع دائما في مكان ما بين الطرفين الذي يصفهما كلاوزفيتز. هذه الطريقة الجدلية غالباً ما تربك القراء المعاصرين، لكنها كانت ممارسة معتادة بين النظريين والفلاسفة في أيام كلاوزفيتز. وبمجرد أن يفهم القراء المعاصرون نهج الجدلية لكلاوزفيتز، فإنه يضيف الكثير من القدرة التفسيرية إلى عمله. علاوة على ذلك وكما أشار إيشفاريا فإنه بالنسبة للعلماء في القرن التاسع عشر لكي يعتبروا أي مفهوم مفهوما سليما، كان على الشخص الذي يقترحه وضعه ضمن

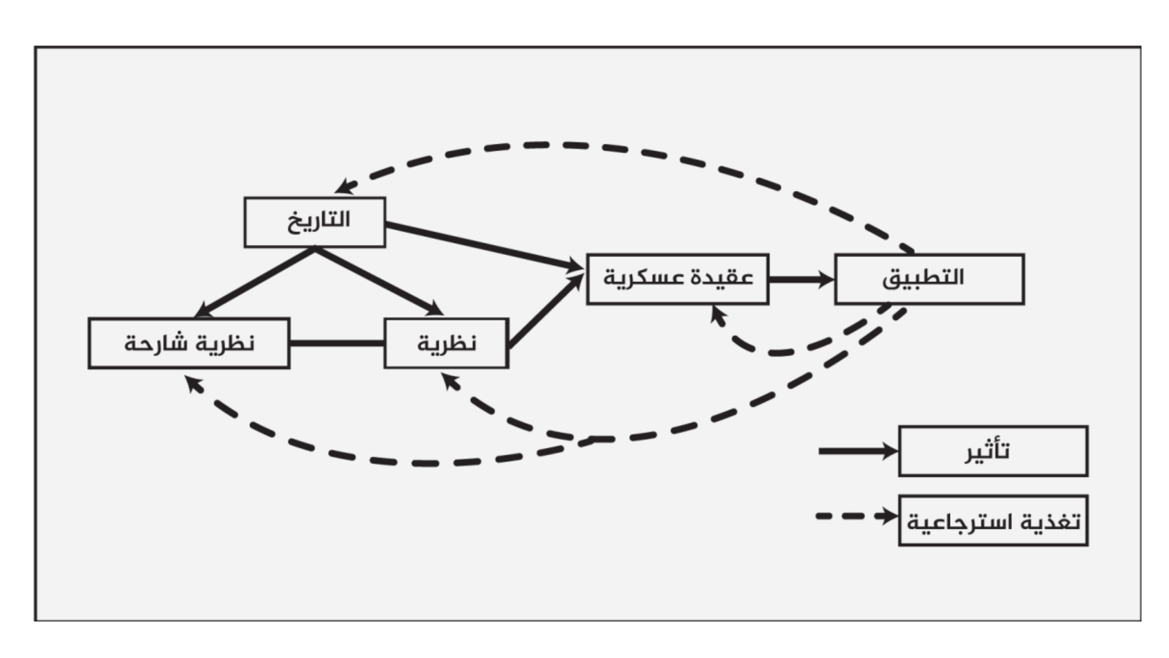
التسلسل الهرمي الراسخ للمعارف الأخرى. ولاحظ شورمان أن "المظاهر المختلفة للحرب لا تبشر بالضرورة بعمر أو جيل جديد حقا في التطور التاريخي للنزاع المسلح. بدلاً من ذلك فإنها تعكس سياق محدد والتكوين الحالي للعناصر الأساسية للحرب التي لا تتغير. لوصف تلك السياقات المحددة في التطور التاريخي للحرب أو النظرية يجب أن يكون لدينا اللغة المعترفة بها والمفاهيم المعروفة اللازمتين. عند هذه النقطة يبدو الاستكشاف الوجيز لمفهوم النظرية لتأطير النقاش مناسباً على نحو كافي.

عن النظرية

يجب أن تمتلك النظرية (بما فيها النظرية الشارحة) صلاحية في كل زمان ومكان وتظهر أهمية تجريبية من خلال انطباقها على مجموعة متنوعة من الأمثلة التاريخية. بالإضافة إلى ذلك يجب أن تتكون النظرية من مجموعة من العبارات التي تعكس معنىً مفهوماً بشكل شائع بين مجموعة من الخبراء المعنيين، لتحقيق على الأقل الفهم المشترك، إن لم تحقق الإجماع في الآراء. ومع ذلك تعكس النظريات غالباً الاتجاهات التاريخية والفكرية السائدة في زمن وضع المنظر للنظرية. وهكذا تصبح النظريات المرتبطة بسياق محدد نظريات عفا عليها الدهر مع تغير الاتجاهات التاريخية بمرور الوقت، بينما يمكن للنظريات المكونة من المفاهيم العامة أن تبقى لفترة أطول. حتى النظريات التي تحتوي على سياقات محددة تربطها بوقت معين يمكن أن تكون ذات أهمية تتجاوز زمانها ومكانها. ويركز الممارسون العسكريون حتماً على النظريات والمبادئ التي لها تأثير مباشر على تطبيق القوة العسكرية في وقتهم، أيا كان مستوى تقديرهم للأصل التاريخي وبالتالي السياقي للمهنة العسكرية. هذه النظريات والمبادئ جنباً إلى جنب مع المعرفة والتحليل التاريخيين، توفر الأساس للعقيدة (للمذهب) العسكري كدليل لتطبيق القوة العسكرية. يستمد الأساس النظري لتطبيق القوة العسكرية أصله من التاريخ والنظرية والمذهب العسكري. يوضح الشكل التالي (تأثيرات النظرية الشارحة) العلاقة الترابطية بين عملية التأثير والتغذية الاسترجاعية. بالإضافة إلى ذلك يوضح الشكل التالي سلائف النظرية theory precursor والنظرية الشارحة. توفر النظرية الشارحة أو نظرية النظرية theory of theory الشروط المسبقة الفكرية والعلمية والأكاديمية

لتحليل ووصف أي نظرية محددة. وهكذا فإن النظرية الشارحة لها تأثير غير مباشر على العقيدة، وبالتالي على الأعمال العسكرية على الأرض حيث يمر تأثيرها عبر كل من النظريات الواضحة والرؤى الكونية الضمنية (الضمنية عكس الواضحة) للممارسين العسكريين.

يشير الشكل (تأثيرات النظرية الشارحة) بشكل غير مباشر على أن عناصر الشكل ليست حقائق علمية ومعرفية عالميتين. يعتمد فهم الفرد للتاريخ على منظور الفرد الذي يرى فيه الحدث، وضمن أي زمان ومكان يعيش فيه الفرد. بنفس الطريقة فإن النظرية والمذهب العسكري تُقبَل أو تُرَد وفقا لرؤية الفرد الكونية، وهي رؤية تتضمن الأفكار كالدين والثقافة لغرض أن يُسنَد التحليل التالي ضمن مفهوم تجريدي للفكر (الأيديولوجية). إن استبدال المفهوم المرتبط بالسياق للسياسة مع المفهوم التجريدي للفكر (الإيديولوجية) في ثالوث كلاوزفيتز يوفر حلاً للمشكلة التي عانى منها الكثير من مفسري فكر كلاوزفيتز وناقديه لدهر طويل، والمتمثلة في كيفية الحفاظ على أهمية صلة فكر كلاوزفيتيز في الحروب التي لا تتوافق مع الرؤية الكونية للقوميين أو على غرار (نموذج) حروب الدول على الدول. يظهر تحليل عدة حالات دراسية صحةَ هذا التعديل للثالوث، وتوضح قيمتها التفسيرية، وتكشف تأثيرات هذه التعديلات للممارسين العسكريين ومساحات للقيام بالمزيد من البحوث.



الشكل. تأثيرات النظرية الشارحة meta-theory على استخدام القوة العسكرية

المصدر: من المؤلف

منهجية البحث

كما ناقشنا أعلاه، فباستبدال السياسة مع المفهوم الأوسع للفكر (للأيديولوجية)، يستطيع الفرد تحديث ثالوث كلاوزفيتز، حتى تخدم كأداة نافعة في التنظير عن مختلف فئات الحروب. إن هذه المقدمة الوجيزة للأسلوب الذي سيبرهن به التحليل هذه الأطروحة تمثل خارطة طريق منهجية.

لكي نعدل المفهوم النظري الشارح باستبدال عنصر بآخر، يجب أن نفهم المفهوم الأصلي – في هذه الحالة ثالوث كلاوزفيتز– والمفهوم الذي نبحث عنه لنفرضه على النظرية الشارحة. إن المقدمة والخلفية التاريخية تخدمان هذا الغرض. مع ذلك يبقى من الواجب أن نظهر صلاحية تعديل ثالوث كلاوزفيتز باستبدال السياسة بالفكر ومنفعة ذلك.

يمثل السرد التاريخي للحالات التي سندرسها أساساً لتحليل أهمية الثالوث المعدل وصلاحيته للممارسين العسكريين المعاصرين. لنقدم اساساً مهماً ومعقولاً للتحليل، سنتبع نمطاً أساسياً مشتركاً لكل الحالات التي سندرسها. هذا يتضمن مناقشة الخلفية والسياق التاريخي لكل حالة. ومن ثم يتحول التركيز نحو الظواهر الخاصة بكل فكر متعلق بكل حالة. وفي الأخير يستكشف السرد التاريخي كيف أثر الفكر (الأيديولوجيات) في مجريات الحرب في كل حالة.

تجسد الحالات التي سندرسها الحرب عبر مختلف الصراعات والأزمنة. الحالة الأولى تمثل حالة معاصرة لزمن كلاوزفيتز، وهي التمرد الإسباني ضد نابليون بونابرت في أوائل القرن التاسع عشر. تُظهر هذه الحالة كيف نجح الإسبان في تنظيم أنفسهم حول العديد من الأيديولوجيات المختلفة لرفض الغزاة الفرنسيين الثوريين. تمثل الحالة الثانية القرن العشرين في حروب الدول، تصف القتال في الحرب الأمريكية ضد اليابان في مسرح العمليات في المحيط الهادئ أثناء الحرب العالمية الثانية. تُظهر هذه الحالة التأثير العنيف للأيديولوجية اليابانية على القتال الذي دار في ذلك المسرح. الحالة الأخيرة التي تمثل الحرب غير المتماثلة asymmetric في القرن الواحد والعشرين، وهي الحرب العالمية للمجتمع الدولي على الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة. وتركز القضية على تداعيات تأثير الأيديولوجية العسكرية الإسلامية على إدارة الحرب في العمليات في أفغانستان.

وفي وقت لاحق يبين تحليل الاتجاهات الصاعدة الموجودة في هذه الحالات كيف يمكن للمرء عن طريق استبدال السياسة بالأيدلوجية، أن يحلل الحرب مستقلاً عن الزمن عن طريق الثالوث المعدل، وما هي الآثار التي ينطوي عليها الثالوث المعدل بالنسبة لمخطط المستوى العملياتي.

الخلفية التاريخية والسياق التاريخي

يعتبر الجنرال والمنظر العسكري كارل فون كلاوزفيتز (١٧٨٠-١٨٣١) من أكثر المنظرين العسكريين تأثيراً في التاريخ. عمل كلاوزفيتز الأكثر شهرة وأهمية هو عمل تاريخي ضخم في القرن التاسع عشر المتمثل بكتاب عن الحرب. يتألف الكتاب من ثمانية كتب مقسمة إلى فصول. الكتاب الأول هو النهج الفلسفي لكلاوزفيتز عن طبيعة الحرب، وبالأخص مدخل لجميع الأصول الفكرية التي لم يعترف بها سابقًا المفكرون العسكريون. وهو بمثابة معجم ومقدمة للغة كلاوزفيتز استخدمها في بقية كتاب عن الحرب. يتضمن الكتاب الأول بعض أشهر مفاهيم فون كلاوزفيتز، مثل "الحرب هي مجرد استمرار للسياسة بوسائل أخرى" و"الثالوث" و"تفوق الدفاع على الهجوم" و"الاحتكاك" و"الضباب" و"العبقرية العسكرية" يشكل الكتاب الثاني محاولة كلاوزفيتز لاستخلاص نظرية الحرب، ويتناول الكتابين الثالث والرابع مستويين من الحرب: الاستراتيجية والتكتيكية (الاشتباك). يتناول الكتاب الخامس في المقام الأول التدابير التكتيكية والعملية الخاصة بإرسال الجيش ونقله في أواخر القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر، في حين يستكشف الكتاب السادس والسابع بالتفصيل الدفاع والهجوم على التوالي. وأخيرًا يقدم الكتاب الثامن فكرة عن كيفية التخطيط للحروب المستقبلية والاستعداد لها.

من بين أبرز إنجازات كلاوزفيتز هي القدرة على ربط مستويات الحرب التكتيكية والاستراتيجية بالغرض السياسي والأهداف. يتيح هذا للقارئ إنشاء سياق ذي معنى لكل اشتباك والتخطيط للاشتباكات المتتالية وفقًا لذلك. وبالمثل ينتقد كلاوزفيتز فكرة القادة الذين يسعون إلى الوصول إلى مبادئ مطلقة تفتح أسرار الحروب كأنها مسائل في الرياضيات. بدلا من ذلك الحرب هي لعبة لا يمكن التنبؤ بها من صراع الإرادات القوية والعواطف والفرص ودور عبقرية القائد الحاسمة. هناك ثلاثة مشاهدات (تجليات) ثورية لكلاوزفيتز اكتسبها مع مرور الوقت، وأظهرت

عمل كلاوزفيتز. **أولها**، أدرك بالاستناد إلى تجاربه الخاصة وأدلته التاريخية أن الطريقة التي يتم بها حشد القوات المسلحة وتنظيمها وتمويلها هي انعكاس للدولة التي تمثلها. **ثانيها**، رأى أن تكوّن الدول من نظام معقد من البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتشكل من الأفراد والتاريخ بقدر متساوي. **ثالثها**، أدرك كلاوزفيتز أن الحرب لا تتطابق مع مجموعة من القواعد البسيطة المطبقة في نظام مغلق. **رابعها**، أدرك كلاوزفيتز أن الصدفة لعبت دورًا أكبر بكثير في الحروب أكثر مما يعترف به المنظرون العسكريون حتى الآن. **خامساً**، رأى كلاوزفيتز الحرب كأداة سياسية وفهم أن الغاية السياسية يجب أن توجه القوات المسلحة. مكن هذا الإدراك كلاوزفيتز من ربط التكتيكات بالاستراتيجية، والاستراتيجية بالسياسة.

امتازت أفكار كلاوزفيتز بتأثير واسع خارج مجتمع المفكرين والممارسين العسكريين. حاول العديد من المؤرخين وعلماء الاجتماع البارزين الدفاع عن ادعاءات حول ملاءمة (أهمية) فكر كلاوزفيتز لحروب القرن الواحد والعشرين بينما حاول آخرون تفنيدها. حتى أن بعض هؤلاء العلماء حاولوا تحديث أفكار كلاوزفيتز في محاولة لجعلها عالمية. وقد ترجم هؤلاء العلماء كتاب عن الحرب وفسروه وأعادوا تفسيره مرات عديدة لدعم حجتهم أو الأطروحة الخاصة بهم.

لقد برزت مدرستان فكريتان شاملتان من هذا النقاش المطول، وبقي فكر كلاوزفيتز محل نزاع بين مجتمع المنظرين والمؤرخين العسكريين إلى اليوم. أحد طرفي الخلاف هو فريق من الخبراء يجادلون بأن كلاوزفيتز، مهما كانت عبقريته وإبداعاته في زمانه، فإنه لا يقدم سوى انعكاس للفكر العسكري في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، مما يحد من أفكاره ضمن تلك الفترة، لا سيما في حروب الدول. تجادل هذه المجموعة بأن الحرب اليوم تجاوز هذا الشكل التقليدي من الحروب، مما يجعل أفكار كلاوزفيتز عديمة الجدوى أو عفا عليها الزمن. الطرف الآخر على العكس من ذلك، يجادلون بأن تفكير كلاوزفيتز يتجاوز الزمن، ويجدون في كتاب عن الحرب مفاهيم وأفكار ملائمة للتعامل مع صراعات القرن الواحد والعشرين – مهما كانت تختلف عن تلك التي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

مثل أي منظّر عسكري آخر كان كلاوفيتز نتاجًا لزمانه وخبرته. هيمن صلح ويستفاليا وبعد ذلك نظام دول الويستفاليا على السياسات الأوروبيّة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. كانت الدولة هي اللاعب الوحيد على الساحة الدولية وكانت الدول (حتى الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩) كلها تقريبا تحكمها الملوك. لم يختلف حال بروسيا عن ذلك. كان كلاوزفيتز ينظر إلى النظام الدولي كشبكة من المصالح، في بعض الأحيان متوافقة وأحياناً أخرى متناقضة. كان السلام تعبيراً مؤقتاً عن التوازن في النظام، في حين تنشأ الحرب عندما ينشأ خلل في التوازن بين الدول التي لم تستطع تسوية نزاعاتها بالوسائل السياسية. بالنسبة لكلاوزفيتز، كانت الحرب تمثل عنصرًا طبيعيًا في النظام الدولي ونشاطًا اجتماعيًا عاديًا.

في نفس الوقت اجتاز عصر التنوير أوروبا، وسرعان ما تلاه عصر التنوير المضاد. ميّز عصر التنوير العديد من الاكتشافات والثورات العلمية من خلال تطبيق العقل والمنطق. وبمثلها في العلوم الاجتماعية والسياسة طبّق المنظرون أيضًا العقل والمنطق في البحث عن التطورات المماثلة لتلك التي شاهدوها في العلوم. تتضمن الأفكار الجديدة المستوحاة من عصر التنوير مبادئ الحقوق الثابتة والمواطنة، وقبل كل شيء المساواة. في فرنسا أدت تلك المبادئ مباشرة إلى التوترات بين الحكم التقليدي للملكية والسلطة الإلهية للكنيسة. ظهرت الثورة الفرنسية من هذا التوتر، وسرعان ما وضعت الظروف التي سهلت نابليون بونابرت وعصر الحروب النابليونية الثورية.

تأثراً بثورة نيوتن العلمية، اتبع المنظرون العسكريون في فرنسا وبروسيا مقاربة للحرب تستند إلى المنطق والعقل. وفقًا لمُثُل التنوير كان من الممكن فك أسرار الحروب وتطويعها، وتحديد الأنظمة والمبادئ العامة التي تضمن النصر في المعارك وكذلك في الحروب. **في عصر التنوير استخدم العديد من المفكرين العسكريين نظامًا توجيهيا وحتى هندسيًا رياضيًا في نظرياتهم العسكرية.** جوميني على سبيل المثال بالرغم من اعترافه بأن دور القائد العبقري خارج حدود النظرية، فقد زعم أن الالتزام بالمبادئ العامة التي حددها في نظريته قد أدت إلى النصر في كل معركة وحرب مهمة منذ العصور القديمة.

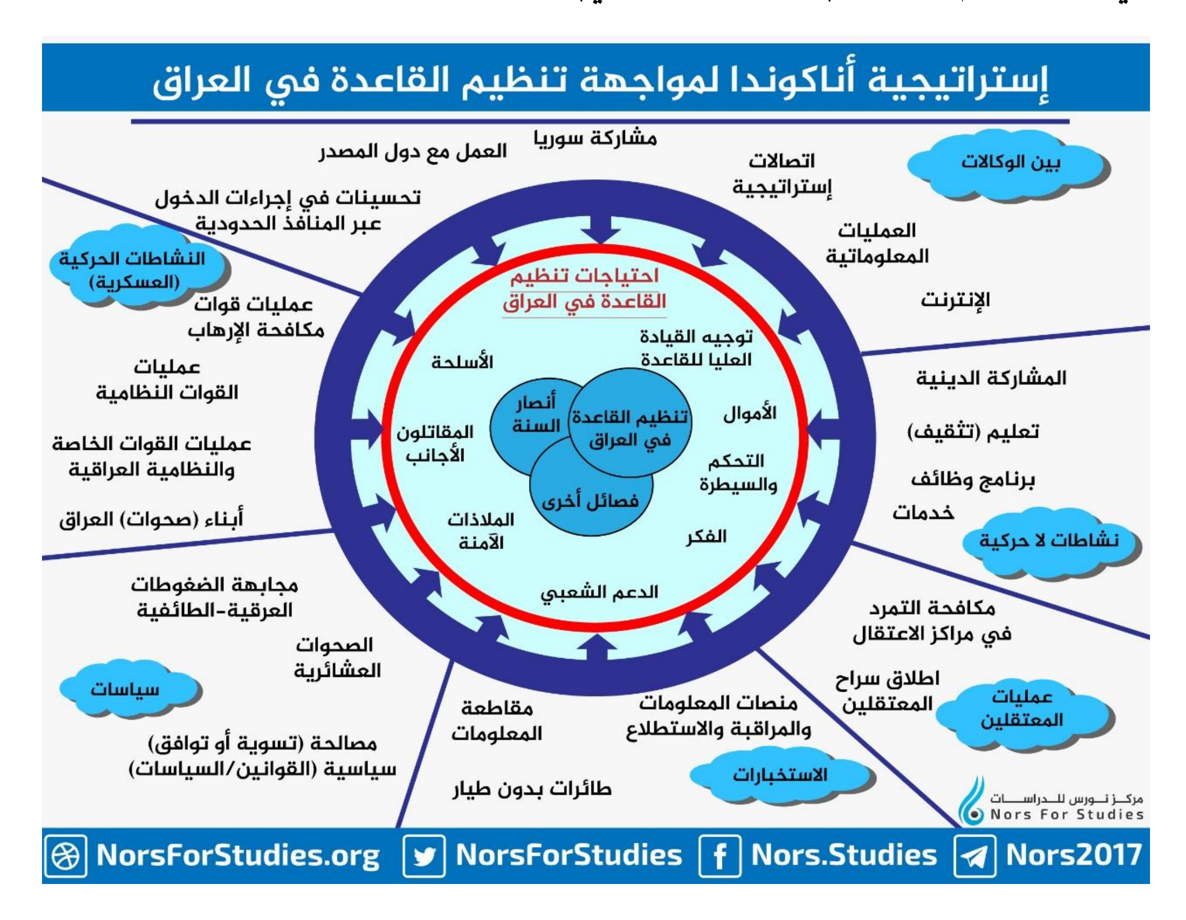
جزئيّا كردّ فعل على التنوير، وفيما بعد أيضا على التهديد الذي مثله نابليون فرنسا، تحدّت الحركة الألمانية الرؤية الفلسفية الكونية وكذلك الرؤية التاريخية الكونية التي عبّر عنها التنوير. اعتبر أتباع الحركة الألمانية العالمَ بما سمته الأجيال اللاحقة بالنظام المعقد. لا يمكن للمرء أن يختزل الواقع ويصنفه إلى مجموعة من القواعد البسيطة نسبياً. وبالمثل نظرت الحركة الألمانية إلى التاريخ على أنه سياق أكثر من كونه مطلق. ومع ذلك فقد نظر كلاوزفيتز إلى الدولة في مجال السياسة على أنها الفاعل الوحيد والمطلق. أُعجِب بمُثُل الثورة الفرنسية، ومنحها للحكومة الفرنسية القدرة على تجميع جيوش ضخمة وتوظيفها. بالمقابل لم يكن كلاوزفيتز يؤيد ثورة شعبية ضد السلطات البروسية واستمر في العمل كخادم مخلص لملك بروسيا، الذي كان يعتبره رئيساً شرعياً للدولة. وفي إطار النظرة الكونية المتناقضة في كثير من الأحيان لكلاوزفيتز تصور النظرية الشارحة والنظريات الموجودة في كتابه عن الحرب.

كانت نظريات كلاوزفيتز ومفاهيمه محل جدل كبير ولازالت كذلك. حاول العديد من العلماء البارزين اكتشاف الحقيقة شبه الأسطورية لعالم كلاوزفيتز. يميل البعض إلى التقليل من أهمية كلاوزفيتز، في حين أن البعض الآخر، وفقا لما قاله مايكل هوارد، يقرؤون لكلاوزفيتز ويتوقعون منه أكثر مما كان ينوي هو تقديمه. لذلك يجب ألا يتجشم الممارس العسكري عناء الكشف عن كل أسرار كلاوزفيتز. في الواقع سوف يعارض كلاوزقيتز نفسه مثل هذه المحاولة، وهو أمر يوضّحه مراجعة موجزة لأفكاره حول الضباب والاحتكاك والفرص. وباعتباره جندياً يجب على المرء فقط محاولة فهم نظرية كلاوزفيتز المتعلقة عمليا في سياق إطار نظريته الشارحة. وبالتالي فإن استبدال "السياسة" بـ "الأيدلوجية" في ثالوث كلاوزفيتز يسمح للممارس العسكري بتطبيق إحدى أهم تعاليم كلاوزفيتز وإرثه فقط، في سياق مختلف عما طوره، مع الحفاظ على صحة أفكاره المركزية وهي: **تمثل المراقبة المستمرة للحرب والصراع ودراستها وتحليلها أفضل إعداد للمحارب لتحديات المستقبل.**

في الواقع يمكن للمرء أن يرى من خلال كتاب عن الحرب بأن كلاوزفيتز قصد التخلص من الأفكار التوجيهية البحتة، ومن ثم المتوقعة للحرب واستبدال مثل هذا المفهوم بالتوصيفات الأكثر

دقة وتنوعاً للحرب كظاهرة سياسية واجتماعية. علاوة على ذلك شرع كلاوزفيتز في معالجة مسألة كيفية دراسة الحرب للتعلم والاستعداد لحروب مستقبلية. كتب كلاوزفيتز في المقام الأول للمهنيين العسكريين المتعلمين، ولكن أيضا لغيرهم من المهتمين بالجوانب الاستراتيجية للحرب مثل القادة السياسيين. يبدو أن كلاوزفيتز مدفوع بالرغبة في نقل معارفه والحصول على اعتراف بمساهمته في تطور الفكر العسكري. في هذا الصدد يُعتبَر الثالوث بمثابة أداة لتعزيز الفهم والتفكير بشأن الحرب كظاهرة بشرية محددة.

يقدم الثالوث غرضاً عملياً أكثر إلى مخطط على المستوى العملياتي – الممارس العسكري. ويوفر نموذجًا ذهنيًا مهمًا لفهم البيئة العملياتية المعاصرة والتأثير فيها. يمكن للمرء أن يجد أمثلة معاصرة لمثل هذه المحاولات في المقاربات العملياتية للحرب في العراق، مثل المفاهيم التي بينها الجنرال ديفيد بترايوس في شريحة عرض "إستراتيجية أناكوندا" – وهو تمثيل للنهج الاستراتيجي لمحاربة القاعدة في العراق عام ٢٠٠٨ (انظر الشكل التالي).



إستراتيجية أناكوندا لمواجهة تنظيم القاعدة في العراق عام ٢٠٠٨

يوضح هذا المثال، أنه لفهم أهمية النظرية الشارحة للممارس العسكري، يجب على المرء أن يدرس النظرية من خلال منظور الممارس.

دراسة حالات

الحروب النابليونية: الانتفاضة الإسبانية

في عام ١٧٨٩ حولت الثورة الفرنسية أساس الحرب. وفي وقت لاحق منح استخدام نابليون لموارد الأمة الفرنسية بالكامل في البداية الإمبراطورَ الفرنسي (نابليون) ميزة حاسمة على خصومه الأوروبيين. في نهاية المطاف دفعت التطورات النابليونية معارضي فرنسا إلى إصلاح أنظمتها الاجتماعية والعسكرية لإفساح المجال للحروب الحديثة. في عام ١٨٠٥ كانت هناك أربع قوى عظمى في وسط القارة الأوروبية وهي: فرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا. بحلول يوليو ١٨٠٧ هزم نابليون جميع القوى الأخرى في أوروبا الوسطى ولم يبق سوى عدو واحد رئيسي وهي بريطانيا. بعد محاولته الفاشلة لجذب البحرية البريطانية إلى منطقة البحر الكاريبي كشرط مسبق لإنجاح غزو بريطانيا، بعدها حدثت الهزيمة البحرية المدمرة في معركة طرف الأغر في ٢١ أكتوبر ١٨٠٥، وبعدها الاستيلاء البريطاني على الأسطول الدانمركي نهاية ٥ سبتمبر ١٨٠٧، على إثرها تخلى نابليون عن أي خطط أخرى لغزو بريطانيا. وبدلاً من ذلك ركز نابليون على فرض حصاره القاري بهدف حرمان البريطانيين من مواصلة ممارساتهم التجارية المربحة في البر الرئيسي لأوروبا. أبقت معاهدة تيلسيت لعام ١٨٠٧ السويد والبرتغال حليفتين فقط مع البريطانيين. في عام ١٨١٠ جلبت روسيا ومن ثم الوكيل الفرنسي في نهاية المطاف السويديين للخضوع مع بقية البر الرئيسي لأوروبا. لكن روسيا نفسها تحدت نابليون بعد عامين فقط، وفتحت موانئها أمام التجار البريطانيين في عام ١٨١٢ وهو عمل أدى إلى غزو نابليون الكارثي لروسيا في وقت لاحق من ذلك العام.

فشلت إسبانيا (الحليف القديم لفرنسا) في إنفاذ الحصار القاري على التمام، والبرتغال لم تشارك في الحصار. بالإضافة إلى ذلك من عام ١٨٠٦ نمت شكوك نابليون على نحو متزايد بشأن ولاء إسبانيا. مع خضوع بقية البر الرئيسي لأوروبا عام ١٨٠٧ لفرنسا، حول نابليون انتباهه إلى شبه

الجزيرة الإيبيرية. بالتنسيق مع إسبانيا احتل نابليون البرتغال، التي كانت على علاقة ودية مع بريطانيا، وكانت البرتغال تخشى أن تهدد بريطانيا ممتلكاتها في أمريكا الجنوبية في حالة النزاع لو أنها خضعت للسياسات الفرنسية وطردت السفير البريطاني ومنعت التجارة البريطانية. في نهاية المطاف على الرغم من إعلان البرتغال الحرب على بريطانيا، فقد نفذ صبر نابليون مع البرتغاليين وغزا البرتغال بدون مقاومة تُذكَر. وفي ديسمبر ١٨٠٧ كانت البرتغال تحت السيطرة الفرنسية. وفي الوقت نفسه حدث الاضطراب في مجلس الحكم الإسباني مما دفع نابليون إلى الاعتقاد بأنه يستطيع التغلب على إسبانيا بسهولة مثل البرتغال. من خلال استخفافه بالقوى الأخرى في النزاع، اعتقد نابليون أنه بحاجة فقط إلى إلغاء الملكية الإسبانية الحالية، واستبدالها بحكومة ضعيفة، وبالتالي ترك البلاد بلا حماية. بعد الانتهاء من غزو عسكري كبير لإسبانيا، مع تحرك دبلوماسي لتقسيم العائلة الملكية الإسبانية، قام نابليون بتأمين ٦٥ بوابة استراتيجية، ونقاطاً حاسمة، مما مكنه من دخول العاصمة الإسبانية، حيث أعلن جوزيف شقيقه ملكاً لإسبانيا.

ومع ذلك لم تكن الحكومة الإسبانية هي المصدر الوحيد لحماسة الإسبان في أوائل القرن التاسع عشر. الإحساس بالكرامة الوطنية الطاغية ودعم البنية الاجتماعية الإسبانية بغض النظر عن العائلة الحاكمة الحالية عززت قوة الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا. وهكذا عندما فشل نظام الحكومة في حماية شعب إسبانيا، صعدت قوى أخرى لتحل محلها. ومع فرار العائلة المالكة ووكلائها من مدريد، قام سكان المدينة بمواجهة الجنود الفرنسيين الذين قاموا بقمع التمرد بسرعة وبوحشية. وعلى الرغم من هذا الانتصار الفرنسي الأول، فإن وحشيتهم حفزت بقية السكان على الانتفاضة ضد الغزاة الأجانب، وسرعان ما أعلنت مقاطعة أوستراس في شمال إسبانيا الحرب على فرنسا. وسرعان ما تبعتها مقاطعات أخرى، مما أدى إلى ما يسميه المؤرخون الآن حرب شبه الجزيرة الإيبيرية. نظرًا للفرصة السانحة في هذه الانتفاضة، أرسلت بريطانيا جيشاً بقيادة الجنرال آرثر وليزلي (ويلنغتون) لدعم إسبانيا والبرتغال في محاولتهما لدحر الجيش الإمبراطوري لنابليون وطردها من إسبانيا، في حين أن جوزيف حاول السيطرة على مملكته الجديدة.

كان مسرح إيبيرية بالنسبة للمشاهد من الخارج، مزيجًا من القوات النظامية، والمتمردين غير النظاميين والمدنيين الذين يدافعون عن أسلوب حياتهم. قدمت المقاطعات الإسبانية خمسة جيوش نظامية، وعلى الرغم من تأسيس حكومة ثورية، إلا أنها لم تمارس سيطرة مركزية عليها. وفي تلك الفترة من التاريخ، كانت إسبانيا تمتلك جيوشًا نظامية رديئة وتشكيلات للمليشيات خاصة بكل مقاطعة. وفي مواجهة الجنود الفرنسيين المحنكين والتكتيكات النابليونية الحاسمة، كانوا عادة يتكبدون هزائم حاسمة وسريعة. مع ذلك استفادت الجيوش النظامية الإسبانية من الحجم، متفوقين بذلك عددياً على الجيوش البريطانية والبرتغالية مجتمعة. وهذا يعني أنها يمكن أن تخدم غرضًا هامًا في جهود المقاومة من خلال القيام بالحظر والحصار، مما يترك لقوات ذات جودة أعلى حرية القيام بالمناورة والانخراط في قتال مباشر مع الفرنسيين. وبالمثل وبسبب الطبيعة اللامركزية للجيوش النظامية الإسبانية، لم يواجهوا أبداً الجزء الأكبر من قوات نابليون القوية. وفي النهاية قام الجيش الإسباني بضم بعض الوحدات عالية الجودة إلى حد معقول، وكسب العديد من المعارك ضد القوات الفرنسية النظامية في القتال المفتوح. لكن في معظم الحالات كافح الجيش الإسباني إلى حد كبير لتبديد النظرة القائلة بأن فرنسا نجحت في فرض سيطرة مركزية على الحكومة الإسبانية وقواتها العسكرية.

وبطريقة مماثلة أجبرت القوات غير النظامية في إسبانيا أو العصابات المسلحة فرنسا على نشر جنودها في جميع أنحاء شبه الجزيرة. بعد أن تكبدوا الكثير من الهزائم، تخلى الشعب الإسباني عن الحرب النظامية كوسيلة حاسمة لمحاربة الفرنسيين، بدلاً من ذلك بحثوا عند الحكومة الثورية الإسبانية للتوصل إلى حل. لقد دعت هذه الحكومة الثورية الناس إلى "إظهار قوة عسكرية متجددة، بمساعدة نظام جديد من الحرب لم يكن معروفًا لدى التكتيكيين العسكريين".

من الضروري مواجهة هؤلاء "المحاربين على نطاق واسع" بالحرب على نطاق ضيق، بالثوار والمزيد من الثوار. في النهاية على الرغم من أن جميع المناطق إسبانيا رعت العصابات، إلا أن المقاطعات الشمالية قامت بتكوين أشرس قوات للمليشيات، وفيها وقعت أعنف حرب عصابات.

على الرغم من أن رجال العصابات من مختلف المناطق أو الفئات الاجتماعية يتشاركون في سمات متشابهة، فإن حركة الأنصار (العصابات) افتقرت إلى التنسيق المركزي، ولم تنجح قوى العصابات المستقلة في تحقيق أغراض مشتركة. في كثير من الحالات عكست الجماعات المسلحة الأنظمة الاجتماعية وأنماط المجتمع المحلي التي أتت منها. وهكذا فقد نتجت الانتفاضة إلى حد الكبير من تقاليد الحكم المحلي القوي والاقتصاد المنظم محلياً الذي يتمتع بدرجة عالية من الاستقلال عن سيطرة الحكومة الوطنية. في بعض المناطق كان للحصار الإنكليزي تأثير كبير على فرص العمل للشباب من الإسبان والبرتغال. وبما أن أولئك الذين يفتقرون إلى العمالة (التوظيف) لم يعودوا قادرين على الهجرة إلى أمريكا، وقد أدى الصراع الذي طال أمده إلى انخفاض عام في الصحة الاقتصادية لشبه الجزيرة الإيبيرية، فقد واجه هؤلاء الشباب باستمرار انخفاضاً في فرص العمل – لا سيما في مدريد وغيرها من المراكز الاقتصادية المزدهرة سابقاً. وبالتالي فإن العديد من المجتمعات المحلية لديها فائض من الشباب في سن القتال دون أمل.

في أجزاء من إسبانيا أجبر انتشار السكان الفرنسيين على نشر القوات لجمع الضرائب. هذه المجموعات الصغيرة من القوات المنتشرة في الريف قدمت أهدافاً يسهل الهجوم عليها من قبل العصابات. وبالمثل فإن مجموعات صغيرة من المباني تنتشر في كثير من المناطق الريفية، وقد صنعت هذه القلاع المثالية التي أعطت لوحدات حرب العصابات الضعيفة ميزةً واضحةً ضد المفارز المتجولة للقوات الفرنسية. وهكذا كان الفرنسيون أكثر نجاحا في إخضاع السكان في المدن الكبيرة والبلدات بمجرد سيطرة الفرنسيين عليها. لقد كان للثوار دور فعال في مهاجمة خطوط الإمبراطورية للاتصالات والسعاة والمخبرين، فضلاً عن مهاجمة الوحدات الفرنسية المعزولة. كما اعتمدت القوات البريطانية بشدة على المعلومات الاستخباراتية والمعلومات التي قدمها رجال العصابات الإسبان. في أكثر من مناسبة تجنب البريطانيون معركة مع عدو متفوق بالاستناد إلى معلومات استخباراتية من رجال العصابات المحليين.

كان لدى الشعب الإسباني تاريخ طويل من السخط على حكومته الملكية، وزاد هذا الاستياء العام شراسة تحت حكم الملك جوزيف. وأدى ذلك إلى مقاومة من المواطنين العاديين الذين اتحدوا مع

حركة الثوار، ظهر ذلك في الغالب في الدفاع عن مدن مثل سرقسطة وجيرونا وفالنسيا، إلى جانب معارضة الشعبية ضد النظام المركزي الجديد - الذي يُنظَر إليه فقط على أنه حكومة صنيعة (عميلة) فرنسية من قبل معظم المواطنين. فشل المحتلون الفرنسيون في إدراك الطابع العام للانتفاضة الإسبانية. أرسلت الحكومة الفرنسية أرتالا مسرعة من مدريد للقيام بتهدئة ما فسرته فقط على أنه أعمال تمرد محلية. من خلال تجزئتهم لجهودهم، مناقضين بذلك إلى حد بعيد مبادئ نابليون الحربية، لم تركز القوات الفرنسية قواتها في حملة منسقة لهزيمة التمرد من خلال الجهود المتتالية والمركزة. من خلال نشر قواتها نشر الجيش الفرنسي أرتال كانت معرضة للهجمات من قبل الجيش النظامي الإسباني ولكمائن العصابات ومقاومة السكان في بعض المدن مثل سرقسطة وجيرونا وفالنسيا.

ليس من الممكن تحديد أيديولوجية واحدة موحدة كانت بمثابة المصدر الرئيسي للدوافع الإسبانية. بدلا من ذلك عززت الكثير من الأيديولوجيات المتداخلة عواطف المتمردين أهمها.

أولاً التوتر بين الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكية مصدراً أساسياً، مع هذا فقد كان حافزاً قوياً وطويل الأمد. **ثانياً** التنظيم اللامركزي التاريخي للمجتمع الإسباني وقف في معارضة شديدة للرغبة الفرنسية في فرض حكم خارجي خاصة بقيادة حكومة تفرض الضرائب على الشعب الإسباني لتمويل الاحتلال. **ثالثاً** ازدادت الخلافات الكامنة والظاهرة في كثير من الأحيان بين المحتل والإسبان تدريجياً مع تزايد عدد المعارك المحلية. **رابعاً** أدى تدخل المحتلين الفرنسيين الذين حاولوا المطالبة بالسيطرة على الأرض الإسبانية إلى تعزيز وحدة وكرامة وطنية لم تكن موجودة قبل الغزو الفرنسي. **لم تكن هذه قومية بالمعنى التقليدي للمصطلح، ولكن خلق هوية وطنية من خلال خلق الدوافع الأيديولوجية المشتركة التي تركز على طرد المحتلين الفرنسيين من إسبانيا.** إن المصادر المختلفة للهوية والأيديولوجية صبت كل شيء في بوتقة المقاومة. حارب الثوار والشعب الإسباني بشراسة لبلدهم، مما مكن الجيوش الإسبانية والبرتغالية المستنزفة بمساعدة البريطانيين، من هزيمة قوات نابليون وإنهاء الاحتلال الفرنسي.

الحرب العالمية الثانية: مسرح العمليات في المحيط الهادئ

عندما هاجمت البحرية الإمبراطورية اليابانية والقوات الجوية اليابانية بيرل هاربور في ٧ ديسمبر ١٩٤١، أدى لإعلان أمريكا للحرب ضد اليابان، والذي أعقبه مباشرة إعلان ألمانيا للحرب ضد أمريكا، ومن ثم حولت الحرب في أوروبا إلى حرب عالمية كاملة. تألف مسرح المحيط الهادئ في المقام الأول من مواجهة بين الحلفاء الغربيين (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة) واليابان. **تشمل الأسباب الكامنة وراء دخول اليابان إلى الحرب أطماع اقتصادية مستقبلية كالسيطرة على الأراضي والأسواق والموارد الطبيعية والسكان، كلها أسباب مركّزة جميعها على الهدف الياباني المتمثل في تأسيس الاستقلال الاقتصادي**. ترجع التوترات بين أمريكا واليابان إلى أوائل القرن العشرين، وتحديدًا للتشريع القانوني القائم على التمييز في تشريع كاليفورنيا لعام ١٩٠٦ الذي يحظر على الأطفال اليابانيين الالتحاق بالمدارس الأمريكية مثل الأطفال الأمريكيين، والدور الذي لعبه الرئيس ثيودور روزفلت في تسوية الحرب الروسية-اليابانية عام ١٩٠٤-١٩٠٥. ازدادت حدة التوتر بين الدولتين بشكل مطرد على مدار العقود الثلاثة التالية، ولكنها لم تصل إلى أي نزاع مفتوح. **في مكان آخر في المحيط الهادئ، ازدهرت التطلعات القومية مع سعي بلدان مختلفة للاستقلال بعد عقود من الاستعمار الغربي والياباني.**

بالإضافة إلى هذه الصراعات الجيوسياسية العلنية على السلطة، فإن الصراعات التي بلغت ذروتها في الحرب العالمية الثانية تقع ضمن العديد من المواضيع الأساسية الأقل ظهوراً ولكنها لا تزال هامة. على وجه الخصوص اتخذت حرب أمريكا مع اليابان العديد من خصائص الحرب العنصرية. إن السلَّم العنصري الذي عبرت عنه النازية بوضوح بإبادة الشعب اليهودي وغيرهم من "غير المرغوب فيهم" بمثابة مثال واضح على جوهرية القضايا العنصرية العرقية خلال الحرب العالمية الثانية. غير أن ألمانيا النازية لم تحتكر هذا التمييز العنصري. إن السياسات العنصرية البريطانية في المستعمرات، والمجتمع الأمريكي المعزول بقوانين الجنسية المستندة على التمييز العرقي، توفر اثنين من الأمثلة العديدة للتمييز العنصري الذي كان موجوداً كصفة عامة لذلك الزمن. كشفت الحرب العالمية الثانية عن مزيد من هذه التوترات العنصرية وعجَّلتها، مما أدى في

كثير من الأحيان إلى عواقب مأساوية. في مسرح المحيط الهادئ لعبت العرقية دوراً هاماً بشكل خاص في إدارة الحرب. استخدم الحلفاء الغربيون تمييزاً عرقياً تجاه اليابانيين لتحفيز القوات التي تدخل في القتال وتشجيع الدعم الشعبي للجهود الحربية. هذا التمييز العنصري موجود على جميع مستويات المجتمع، كما يمكن للمرء أن يرى في وسائل الإعلام الشعبية في ذلك العصر: الرسوم المتحركة والأفلام والبث الإذاعي والمقالات الصحفية والمجلات والإعلانات التجارية. في مشابهة مقلقة للرسومات النازية لليهود، وزعت وزارة الحرب الأمريكية مجموعة من الملصقات التي صورت اليابانيين على أنهم أشخاص بشريون قساة يشبهون الحيوانات (انظر الشكل التالي).



أمثلة على ملصقات الحرب العالمية الثانية الأمريكية مع الرسائل المضادة لليابان.

أيدت الأيديولوجيات الأساسية الرسائلَ العنصرية على كلا الجانبين خلال الحرب في المحيط الهادئ. في الولايات المتحدة رأى أغلبية الرأي العام والدعاية الحكومية الرسمية أنه لا يوجد شيء اسمه "ياباني طيب". وبينما وصل الخطاب حد محموم أثناء الحرب، استندت إلى سجل طويل من التمييز العام نشأ قبل فترة طويلة من الحرب العالمية الثانية. بنيت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على هذه التوترات ما قبل الحرب والانحياز العنصري لإيصال مفهوم "اليابانيون دون البشر"، وتصويرهم بشكل روتيني لعدوهم كالقردة والثعابين والحشرات في وسائل الإعلام العامة. وصورت وسائل الإعلام الغربية الحرب كنضال بين الخير والشر. قدمت صور بصرية ولفظية بسيطة ولكنها قوية، مثل مجزرة واغتصاب نبانكن، والهجوم المباغت في بيرل هاربور، ومسيرة الموت في باتان، قدمت رموزاً قوية استخدمها الحلفاء لإنشاء صورة نمطية للجندي والمواطن الياباني، لتأكيد طبيعة النزاع الخطرة بالنسبة لجنود الحلفاء وحدود البلاد. لم تترك حملات الإعلام العامة سوى نتيجة محتملة واحدة فقط: الإبادة الكاملة للنظام المعارض والأيدولوجية، وهو مفهوم منعكس في السياسية الوطنية والاستراتيجية العسكرية للحلفاء.

كانت الأيديولوجية اليابانية تتحدى لفترة طويلة فكرة التفوق الغربي، من الناحية التاريخية كان الشعب الياباني يعتبر نفسه العرق الأعلى. في صيف عام ١٩٤١ نشرت الحكومة اليابانية، "طريق الأتباع"، وهو منشور أيديولوجي استمروا فيه بتلقين الشعب الياباني. وصفت طريق الأتباع الصورة المثالية للشعب الياباني والأمة اليابانية والعرق الياباني. علاوة على ذلك صورت التاريخ الغربي كتاريخ للغزو والإشباع الذاتي والقمع العنصري لبقية العالم. صورت الغربيين على أنهم عديمون القيمة، والمعتدين المتعطشين للدماء والمستعمرين المتغطرسين الذين استغلوا الشعوب الآسيوية من الهند إلى الهند الصينية والفلبين. وهذا يبرر غزو اليابان المقصود للمستعمرات الغربية في جميع أنحاء آسيا في محاولة لتأسيس استقلال اقتصادي وإنشاء إمبراطورية آسيوية تتحرر من نير الهيمنة الغربية. تحملوا اليابانيون طوعاً المسؤولية لقيادة هذا الجهد، ويعتبرون أنفسهم الأعلى بين الأعراق الآسيوية. سعى الإمبراطور والحكومة اليابانية إلى تأسيس شعوبهم كطبقة حاكمة في آسيا تحت شعار ما يسمى بالشعار الثلاثي: اليابان رائدة آسيا واليابان حامية آسيا واليابان نور آسيا.

بالنسبة لليابانيين عملت فكرة آسيا الكبرى Pan-asianism كأيديولوجية متعددة الأوجه، بدلاً من كونها مجرد أساس منطقي لمهاجمة القوى الاستعمارية. في بلدان بما في ذلك الهند والصين وبورما، اجتذبت هذه المشاعر المناهضة للاستعمار أتباعًا يدعمون القضية اليابانية. وجدت اليابان وهي مجتمع نقي عرقياً، مفهوم التفوق في الكلاسيكيات الكونفوشيوسية (الصينية)، إلى جانب قصصها الشعبية الخاصة التي صورت الغرباء بالبرابرة والشياطين الشريرة. وبالمثل فإن دين الشنتو، وخاصة النسخة المحرفة منها التي تم التعبير عنها باسم "دولة الشنتو"، كانت بمثابة أداة قومية توحد الشعب الياباني حول الدولة اليابانية والإمبراطور الإلهي. ابتداءً من عام ١٨٩٠ طالبت سياسة الحكومة الطلاب اليابانيين بتلاوة قسم الولاء للدولة، وضمان ولائهم الشجاع الذي لا يرقى إليه الشك. خدم هذا اليمين كشكل من أشكال النشاط الشعائري الذي وجد تعبيره الأقصى في الهجمات الانتحارية في كاميكازي وبنزاي، وحوادث الانتحار الشعائرية المعروفة باسم هارا كيري التي مارسها الجنود والطيارون اليابانيون طوال الحرب. وجد الجنود اليابانيون الإلهام في ماضيهم المحارب، عندما مثل انضباط الساموراي وولائه وشدته ومهارته مثلاً تثير الإعجاب من قبل كل المجتمع. وتنبأ التاريخ الياباني والفولكلور بإمبراطورية آسيوية يابانية كبرى، تشمل بما في ذلك كوريا والصين والفلبين. أنتج هيكل المجتمع الياباني، من خلال الخطط الموحدة بين التعليم العام والدولة الشنتوية وإجراءات السيطرة الحكومية المتمحورة حول الإمبراطور، أنتجت أمة من الأفراد منحازين إلى إرادة الدولة وخاضعة لها. استقر الجيش على قمة التسلسل الهرمي الذي كان يشرف على الاتجاه الاستراتيجي لليابان وفقاً لتوجيهات الإمبراطور الذي عمل في دور كجزء من النظام أكثر من كونه على رأسه.

لقد أنفق كلا الجانبين في مسرح الحرب في المحيط الهادئ موارد هائلة ليصور كل منهما خصمه كمعتدٍ متوحشٍ لا يمكن الاتفاق معه. أيد الجانبان هذه الادعاءات من خلال التفسيرات الثقافية للتاريخ والصور النمطية للاختلافات العنصرية. ونتيجة لذلك أثرت الإيديولوجيات الغربية واليابانية بشكل كبير على سلوك الحرب العالمية الثانية في مسرح المحيط الهادئ. كانت شيطنة المقابل بمثابة مصدر إلهام ودافع لممارسة العنف الشديد في القتال حتى آخر جندي. على عكس المسرح الأوروبي. حيث ظل التطرف والكراهية العنصرية محصورين بين مجموعات عرقية معينة

وأطراف متقاتلة تاريخياً، لم يمنح أي من المشاركين في حرب المحيط الهادئ الرحمة أو توقعها. عاش الجنود هناك وماتوا بقواعد بسيطة: اقتل أو تُقتَل، ولا تقبل بأسرى، وقاتل حتى النهاية المريرة. علاوة على ذلك تم تطوير روح "عدم الاستسلام أبداً" بين الجنود والقادة في مسرح المحيط الهادئ خاصة بين المدافعين اليابانيين بعد أن قلب الحلفاء الموازين وبدأوا عملية تحرير الجزر التي تسيطر عليها اليابان. شجّع كبار القادة والزعماء المدنيين من الجانبين روح "اقتل أو تُقتَل"، مما أسفر عن وحشية مروعة في الجبهة على الرغم من أن الحلفاء بشكل عام عاملوا الأسرى القلائل الذين أسرهم أفضل بكثير من اليابانيين الذين عاملوا أسرى حربهم. وقد صوَّرت الدعاية الحكومية قضية الحرب باعتبارها صراع بين "عالم الحرية وعالم العبودية" و"الحضارة ضد البربرية" و "الخير ضد الشر". لقد نشرت آلات الدعاية للمقاتلين فظائع – حقيقية أو مفبركة – لتكون بمثابة حافز وتبرير لسلوك الحرب الغير مقيد. أثبتت هذه الدعاية أهمية خاصة بالنسبة لأميركا في المراحل الأخيرة من الحرب، عندما وافق الرئيس على إلقاء القنابل الحارقة على المدن اليابانية وفي النهاية استخدام القنابل الذرية على هيروشيما وناغازاكي لتفادي الخسائر المفاجئة المتوقعة في غزو برمائي للأراضي اليابانية.

أظهر مسرح الحرب في المحيط الهادئ أثناء الحرب العالمية الثانية طبيعة متعددة الأوجه. لا يفسر التحليل الموضوعي لسياسة الحلفاء بطريقة مرضية طبيعة حرب المحيط الهادئ. إن الأيديولوجيات الكامنة ولا سيما الاختلافات الثقافية والعرقية التي تستخدمها الدولة كأدوات للتلقين والتحفيز، كان لها تأثير لا يمكن قياسه على الطريقة التي خاض بها المقاتلون الحرب، من السياسة والاستراتيجية إلى إجراء العمليات والتكتيكات. **تسبب التصور الياباني للأميركيين مع قانون المحارب الشنتوي ضراوة قتال اليابانيين، وكثيراً ما كانوا يستقبلون الموت قبل الأسر، وفي كثير من الحالات يرتكبون المجازر. وقد وفر ذلك بدوره المزيد من التغذية للتلقين العنصري الذي أثر على تصور قوات الحلفاء لطبيعة عدوهم، مبالغة في آثار عملية شيطنتهم، ودفع الحلفاء للانخراط في مستوى من الوحشية لا مثيل له في أي مسرح حرب آخر.**

وهكذا قادت أيديولوجيات الأطراف المتصارعة أفعالها على أرض الواقع ووفرت الأساس المنطقي للسلوك الذي لم يكن مقبولاً أبداً في السابق أو حتى انتشر على نطاق واسع خلال السلام أو الحرب.

الحرب العالمية على الإرهاب: محاربة المقاتلين الإسلاميين

في ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١ هاجم الشباب الذين تديرهم شبكة مقاتلي "القاعدة" الإسلاميين التي يتزعمها أسامة بن لادن، الولايات المتحدة. وعلى وجه التحديد قاد المقاتلون الإسلاميون الطائرات إلى مركز التجارة العالمي والبنتاغون، مما أسفر عن مقتل حوالي ٣٠٠٠ شخص. في الوعي العام أدى هذا الفعل إلى بداية عهد جديد في السياسة الأمنية الأمريكية. في الواقع كان الهجوم استمراراً لألف وثلاثمائة عام من التوتر المستمر والصراع بين ما أسماه بن لادن بالتحالف الصليبي الصهيوني الغربي والعالم الإسلامي، وتحديداً المسلمين في الشرق الأوسط. قبل خمس سنوات من الهجوم أصدر بن لادن فتوى للحرب ضد الولايات المتحدة. ومع ذلك فإن النزاع امتد إلى ما هو أبعد من الاختلاف الديني، ويمثل بشكل عام توتراً بين التقليد والحداثة. إنه يستفز الولايات المتحدة، القوة المهيمنة عالمياً والبطلة العالمية للدفاع عن حقوق الأفراد في الحياة والحرية والسعي وراء السعادة ضد المتطرفين الإسلاميين الذين يسعون إلى إقامة خلافة خالدة خالية من الكفار. توجد هذه التوترات بين الأيديولوجيتين المتصارعتين والسرد التاريخي الخاص بكل منهما اللتين يدافع كل منهما عن سرده الخاص.

قام بن لادن في اتصالاته الدورية إلى فروع "القاعدة" واسعة الانتشار، بإشارات تاريخية متكررة للأحداث التي يعود تاريخها إلى ميلاد الإسلام عام ٦٢٢ لما نشره النبي محمد ﷺ (٥٧٠-٦٣٢). في رسالة مسجلة بالفيديو نُشرت في ٧ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠١ بعد الهجوم على الولايات المتحدة، أشار بن لادن إلى "الذل والمهانة" الذي عانى منه الإسلام "لأكثر من ثمانين عامًا." في هذا البيان أشار بن لادن إلى الهزيمة النهائية للإمبراطورية العثمانية وما تلاها من تقسيم آخر الخلافة الإسلامية من قبل القوى العظمى (غير المسلمة). زيادة في المهانة فإن هذا الحدث في ذهن المقاتلين الإسلاميين أدى إلى تأسيس إسرائيل بعد تسعة وعشرين عامًا.

في عام ١٩١٨ تم تقسيم الخلافة المقدسة إلى أجزاء بريطانية وفرنسية. قسم الغزاة في وقت لاحق المنطقة إلى كيانات جغرافية، معظمها لا يحمل أي تشابه مع العالم الإسلامي القديم، بل يرجع أصله إلى ما قبل مولد الإسلام بوقت طويل. بدأ الخلاف حول هذه الأراضي وخاصة القدس وفلسطين حين استولى الصليبيون الأوروبيون على القدس في عام ١٠٩٩، ليخسروا المدينة فقط لصالح صلاح الدين الأيوبي في عام ١١٨٧.

استمرت السيطرة على القدس في التحول بين الحكام المسيحيين والمسلمين حتى استعاد صلاح الدين المدينة في عام ١٢٤٤ (لفرط جهل الكاتب، خلط بين صلاح الدين الأيوبي وبين السلطان الأيوبي الذي جاء بعده صالح أيوب، وقد كانت القدس سقطت مرة ثانية بيد فريدريك الثاني إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ١٢٢٨، ثم فتحها صالح أيوب عام ١٢٤٤)، وبعد ذلك بقيت في أيدي المسلمين لعدة قرون. في أعقاب صعود الإمبراطورية العثمانية، استمر الصليبيون الأوروبيون في الدفاع، وظل الشرق الأوسط باستثناء شمال أفريقيا تحت الحكم الإسلامي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨. في عام ١٧٩٨ غزا الجنرال نابليون بونابرت مصر وتم طرده فقط عندما تدخلت قوة أوروبية أخرى وهي بريطانيا، مع أن القوة الإسلامية بدأت تظهر عليها علامات الضعف قبل ذلك. وفي وقت لاحق احتلت القوى الأوروبية معظم شمال أفريقيا. بعد الحرب العالمية الأولى أصدرت عصبة الأمم قراراً لفرنسا وبريطانيا لإعداد الأراضي المحتلة للاستقلال. كان لهذا القرار تأثيرا إيجابيا كبيرا على المنطقة المحتلة. طور المسؤولون البنية التحتية والخدمات العامة والأنظمة التعليمية والهياكل الاجتماعية الجديدة. ومع ذلك في حين بدت هذه التغييرات إيجابية للمراقب العادي، إلا أنها خلقت أيضا عداوة كبيرة في الشرق الأوسط، حيث رأى البعض التغييرات بمثابة هجوم على طريقة حياة المسلمين التقليدية. وقد أدى هذا العداء إلى قيام قادة متعاقبين من جميع أنحاء دول الشرق الأوسط بالسعي إلى بناء القوة من خلال تشكيل التحالفات والشراكات مع أعداء بريطانيا وفرنسا. مع ظهور الحرب الباردة والانحدار التدريجي للإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية، وجد القادة في الشرق الأوسط أنفسهم يواجهون إمكانية لظهور مهيمن جديد في الساحة الدولية وهي الولايات المتحدة. سرعان ما وجدت الولايات المتحدة نفسها مقيدة في الشرق الأوسط وهي مكرهة، وعلى الأخص بسبب الغزو العراقي للكويت في عام ١٩٩٠.

رأى المقاتلون الإسلاميون ظهور أنشطة الولايات المتحدة ومشاركتها في الشرق الأوسط وأماكن أخرى في العالم على أنها تطلعات إمبريالية للولايات المتحدة. علاوة على ذلك شكل اقتصاد السوق الأمريكي أسلوب حياة غير مرضي عنها للمسلمين المتدينين بالتجاوزات المختلفة مما اكسب الولايات المتحدة لقب "الشيطان الأكبر".

عند تعريف الأيديولوجية الإسلامية المتشددة، يجب على المرء أولاً تعريف المجموعة المعنية. إن التعميم حول العرب ككل أو الإسلام كدين يفتقر إلى سياق محدد اللازم لقول أي شيء مفيد أو قابل للتطبيق على نطاق واسع. مجموعة صغيرة نسبيا من المقاتلين الإسلاميين - وهي مجموعة أصغر من عموم السكان المسلمين في العالم - تشكل شبكة القاعدة وفروعها. اليوم وبالأخص بعد مقتل بن لادن، تطورت جماعة القاعدة نفسها إلى أيديولوجية أو "علامة تجارية" اعتمدتها مجموعات مختلفة تسعى إلى هوية معروفة أو تبرير لأعمالها. يمكن للمرء أن يعمم الأيدولوجية التي يقاومها تنظيم القاعدة بعنف بالفكر الغربي أو الأمريكي. يعود سبب هذا التمييز الكبير بين الطرفين إلى حقيقة أن ما يسمى بالعالم الغربي قد تبنى إلى حد كبير مبادئ عالمية معينة تنطبق على العديد من الدول وغالبية مواطنيها، بغض النظر عن الانتماء (الرأسمالية والتمثيل السياسي وشكل من أشكال الديمقراطية بدلاً من الملكية أو الدكتاتورية). مع ذلك يجد الغرب نفسه في مأزق غريب. وكما أوضح الرؤساء الأميركيون المتعاقبون فإن الغرب لم يعلن الحرب على الإسلام. إلا أن المقاتلين الإسلاميين يتصرفون كما لو كانوا يعرّفون أنفسهم بأنهم مدافعون عن الإسلام ضد الغرب ولا سيما أمريكا.

لفهم أيديولوجية المقاتلين الإسلاميين، يجب على المرء أن يبحث وراء التاريخ والاستعمار، مهما كان دورهما صادماً في الوعي الإسلامي. يعتقد المقاتلون الإسلاميون أن الإسلام، باعتباره أحدث وأوثق وحي لإرادة الله جل وعلا، معني للبشرية جمعاء. وهذا يعني أن جميع الناس يجب أن يتبعوا تعاليم القرآن قبل أن تتمكن الإنسانية من خلق المجتمع المثالي في نظر الإله. علاوة على ذلك أعطى الله جل وعلا مجتمع المسلمين الحقيقيين مسؤولية قيادة البشرية. لذا فإن المسلمين ملزمون بمشاركة هذه الحقيقة الإلهية مع العالم ودفع المجتمعات الغير مسلمة للانفتاح على الإسلام

(عن طريق تحويل الناس إلى العقيدة الإسلامية). علاوة على ذلك يزعم المسلحون الإسلاميون أن الأمة يجب أن تعيش كل قواعد الله جل وعلا كما وردت من قبل النبي محمد (ﷺ) دون استثناء أو تأويل. يجب أن تلتزم الأمة بنظام القانون المنصوص عليه في القرآن الكريم – وهو نظام يُعرَف بالشريعة – والذي تمسكت به خلال ألف سنة من الخلافة. في نظر المسلحين الإسلاميين، بعد تراجع الخلافة بسبب انحراف الحكام الظالمين عن الصراط المستقيم، تولى المسيحيون واليهود وممثلو الأديان الفاسدة قيادة العالم وغزوا الأراضي الإسلامية وصنعوا إسرائيل في نهاية المطاف. تعمل الهيمنة السياسية والعسكرية والمالية والعقائدية والإعلامية والثقافية المستمرة في العالم على إذلال الأمة يومياً. يزعم المسلحون الإسلاميون أن هذه الحالة لم تحدث إلا لأن الأمة تحولت عن المسار الذي وضعه الله. استُبدِلت الخلافة الراشدة بالملكية الوراثية. وضع الملوك الجدد قوانينهم وقواعدهم الخاصة ليحلوا أنفسهم محل الله جل وعلا. هذا التقليد لا يزال مستمراً اليوم، وهو مثال يحتذي به الملوك مثل الرئيس السوري بشار الأسد والعائلة المالكة في المملكة العربية السعودية.

لذا فإن السرد الإسلامي المتطرف يستمر. وقد أدى التأثير الخارجي إلى تلوث الإسلام من خلال محاولات مختلف الملوك والعلماء المسلمين المفكرين لدمج الأفكار اليونانية والغربية في الإسلام. في واحدة من أخطر الأمثلة على هذا النمط من الأحداث وفقا للمسلحين الإسلاميين، قام مصطفى كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة العثمانية في عام ١٩٢٤، مما مهد الطريق لعلمنة تركيا. حتى أن بعض علماء المسلمين يجادلون أنه بدون الخلافة، لا يمكن أن يوجد الإسلام كمعتقد صالح للعيش، وبالتالي فإن المسلمين عاشوا في الخطيئة منذ إلغاءها. ووفقاً لهذا الرأي فإن الإسلام سوف ينتهي في نهاية المطاف ما لم يقم المسلمون بإعادة تأسيس الخلافة. وأخيراً قام المسلحون الإسلاميون ببناء سرد تتكشف فيه "الحقيقة" (الحق) التي أوحي بها النبي محمد ﷺ، التي هي في قتال مستمر طوال القرون الأربعة عشر الماضية مع "الكفر والباطل"، المتمثل بالمسيحيين واليهود. يرى المسلحون الإسلاميون حلولاً مختلفة لهذه المشاكل للإسلام. كل حل ينطوي على مجموعة مختلفة منهم، وهو ما يفسر النمو المستمر والانقسام في هذه المجموعة الصغيرة من المسلمين.

لغرض دراسة الحالة هذه، فإن هذه المجموعات الفرعية المختلفة تتناسب جميعها مع الفئة الواسعة من "المتشددين الإسلاميين"، بما أن الاختلافات الخاصة بهم ليس لها تأثير على القضية الشاملة الت بين أيدينا الآن.

وتتركز الحلول التي يتصورها المسلحون الإسلاميون على العودة إلى الإسلام الصحيح. وهذا ينطوي على السماح لكل مسلم بالتعبير عن تفسيره الخاص للنصوص المقدسة وفقاً لمنطقه الخاص، بدلاً من اتباع تفسيرات مركزية وحديثة بصورة عمياء. كما يرى بعض المسلحين الإسلاميين أن النظام المعاصر للحكام الفاسدين في الدول الإسلامية هو أصل كل الشرور. في ضوء هذا الرأي يجب أيضا أن يتضمن أي حل استبدال هؤلاء الحكام، الذين ينظر إليهم باعتبارهم عملاء للغرب، بالمسلمين المؤمنين الذين سيحكّمون الشريعة بمفردهم. وفقًا لوجهة النظر السائدة، تنبع المشكلة الرئيسية للإسلام من تدمير الخلافة. وبالتالي فإن إنشاء خلافة جديدة بمثابة شرط مسبق لإعادة الإسلام إلى نقائه السابق ونشره لبقية العالم – من خلال وسائل هجومية حيثما كان ذلك ضرورياً. أخيراً يرى بعض المسلحون الإسلاميون أن أمريكا والغرب هما العائقان الأساسيان أمام عودة ظهور الإسلام. ترى هذه المجموعة أن تدمير هذه العقبة هو السبيل الوحيد لإحياء الخلافة ومعها تعود الدولة الإسلامية الحقيقية. وهكذا قد يتصور المسلح الإسلامي للعمل سلسلة من الأحداث التي تنطوي على إجبار أمريكا والغرب على ترك الأراضي الإسلامية، تليها إزالة الزعماء المسلمين الفاسدين، وإقامة الخلافة الجديدة، وفي نهاية المطاف غزو عالمي لتحويل بقية العالم إلى مؤمنين حقيقيين.

يمكن للمرء أن يصف المكونات العامة للأيديولوجية الغربية على الرغم من تنوعها الشديد، وذلك من خلال وصف الاتجاهات الدولية السائدة بين الدول الغربية. تؤمن هذه البلدان ككل بحقوق الإنسان العالمية المنصوص عليها في إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. وعلاوة على ذلك فإن الغرب يؤمن بسيادة القانون، بما في ذلك القانون الدولي والديمقراطية والعلمانية واقتصاد السوق والعلوم. وفقاً للأيديولوجية الغربية فإن أساس هذه الأفكار مجموعة من المبادئ العالمية الموجودة في مختلف نظريات السياسة الدولية تعمل كأساس لأمن العالم الغربي، لأن هذه المبادئ العالمية

تضع المصالح الوطنية فوق مصالح الأفراد، على الرغم من أن هؤلاء الأفراد يمكن أن يتوقعوا من أمتهم ضمان أمنهم وحماية حقوقهم الإنسانية العالمية.

إن الآثار المترتبة على خوض الحرب بين الأطراف التي تمثل هاتين الأيديولوجيتين المتعارضتين تبدو واضحة وشديدة. وبما أن المقاتلين الإسلاميين لا يميزون إلا بين المؤمنين الحقيقيين والآخرين، فإن لديهم مجموعة كاملة من الوسائل المتاحة لهم. لا يميز المقاتلون الإسلاميون بين المقاتلين وغير المقاتلين، ولا بين المدنيين والجنود، ولا بين الرجال والنساء والأطفال. فهم يميزون فقط بين الناس بطريقة واحدة: يصنفونهم كمؤمنين حقيقيين (وفقا لتعريفهم الأيديولوجي) أو غير المؤمنين (الكفار)، وكلهم يقعون تحت فئة "الهدف المشروع". وبالمثل لا يُلزِم المقاتلون الإسلاميون على أسلحتهم التي يستخدمونها أن تميز أو تحد من "الأضرار الجانبية". يمكن للمرء أن يرى أمثلة على هذا التفكير في أمثلة تتراوح من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ضد الولايات المتحدة إلى الاستخدام اليومي للأجهزة المتفجرة المرتجلة (العبوات الناسفة) والتفجيرات الفدائية وأسلحة مماثلة. بالمقابل سيتخذ الغرب إجراءات لحل انتهاكات حقوق الإنسان العالمية، وسوف يلتزمون بالقانون الدولي حتى عندما يحارب الأعداء الذين لا يطبقون ذلك (يبدو ذلك واضحاً تماماً في مجازر العراق وأفغانستان والسجون التي فيهما)، وسوف يستخدمون المصالح الوطنية الجماعية كدليل للعمل. يبدو أن هذه الأيديولوجيات تصطدم في أي وقت وفي أي مكان يتلاقون فيه، ومع استمرار الاتجاه نحو العولمة يبدو أن هذه الأيديولوجيات ستزداد في المستقبل. على سبيل المثال سوف يمثل وجود إسرائيل للمقاتلين الإسلاميين تطفلاً على الأراضي الإسلامية إلى الأبد، ومع ذلك لا يمكن للمرء أن يتصور سيناريو ستقف فيه أمريكا دون اتخاذ أي إجراء في مواجهة تهديد وجودي لإسرائيل.

الاستنتاج

يوضح التحليل السابق أنه من خلال استبدال مصطلح "سياسة" بمفهوم "الأيديولوجية" الأعم في ثالوث كلاوزفيتز، يمكن للمرء تحديثه بحيث يمكنه الوصول إلى كامل إمكاناته، خاصة فيما يتعلق بالتطبيق الحديث لما يراه الكثير من المفسرين نظرية عفا عليها الزمن. فالأيديولوجية كمفهوم أكثر تجريداً وأعم من السياسة، يمكن أن تخدم الغرض الذي قصده كلاوزفيتز لهذا الجزء من الثالوث مع تجنب مشكلة حصره في عصر معين أو شكل من أشكال الحرب أو أسلوب الحكم. أوضحت ثلاث حالات للدراسة واحدة لكل من القرن التاسع عشر والقرن العشرين والقرن الواحد والعشرين الطرقَ المختلفة التي تؤثر بها الأيديولوجية على سير الحرب.

في إسبانيا ظهرت انتفاضة شعبية في تحدٍ لسياسة التعاون الإسبانية الرسمية مع نابليون. إن الإيديولوجيات المتجذرة محلياً لمجموعات الثوار – مهما كانت متنوعة – والارتباط القوي بالكنيسة الكاثوليكية قد أعطت الزخم اللازم لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسية. بالدوافع الأيديولوجية بدلاً من الدوافع السياسية، نهض الشعب الإسباني لمواجهة الإمبراطورية الفرنسية التي كانت تبدو قاهرة وحتى ذلك الحين منتصرة باستمرار. على الرغم من أن الجيش النظامي الإسباني وقوات حرب العصابات التي تم حشدها محلياً قد عانت الكثير من الهزائم على أيدي الفرنسيين، فقد ثابروا وفي النهاية غلبوا الفرنسيين.

بعد أكثر من قرن ارتكب الجنود اليابانيون والأمريكيون بدافع أيديولوجي أعمال وحشية مروعة لأنهم انخرطوا في حرب وحشية بشكل خاص مع طبيعة أيديولوجية عنصرية. مرة أخرى يتجاوز مصدرُ الحافز السياسةَ أو التفكير السياسي. وقد نشأ بدلاً عن ذلك التلقين الأيديولوجي الدقيق للجنود الأمريكيين واليابانيين. سواء كان ذلك مستنداً إلى الصورة الذاتية لليابان باعتبارها العرق الأعلى الذي تم تشكيله في بوتقة الدولة الشنتوية، أو رؤية أمريكا لليابانيين كشعب دون البشر، لا يستحقون حقوق الإنسان الممنوحة لأعضاء المجتمع الغربي، فإن هذا التلقين قاد جنود كلا الجانبين للقتال باستخدام وسائل لم تشهدها أي دولة غربية واجهت دولة أخرى في معركة خلال الحرب العالمية الثانية ومع درجة من الكراهية غير مسبوقة. شمل هذا التلقين تأثيرات قوية مثل التي دفعت

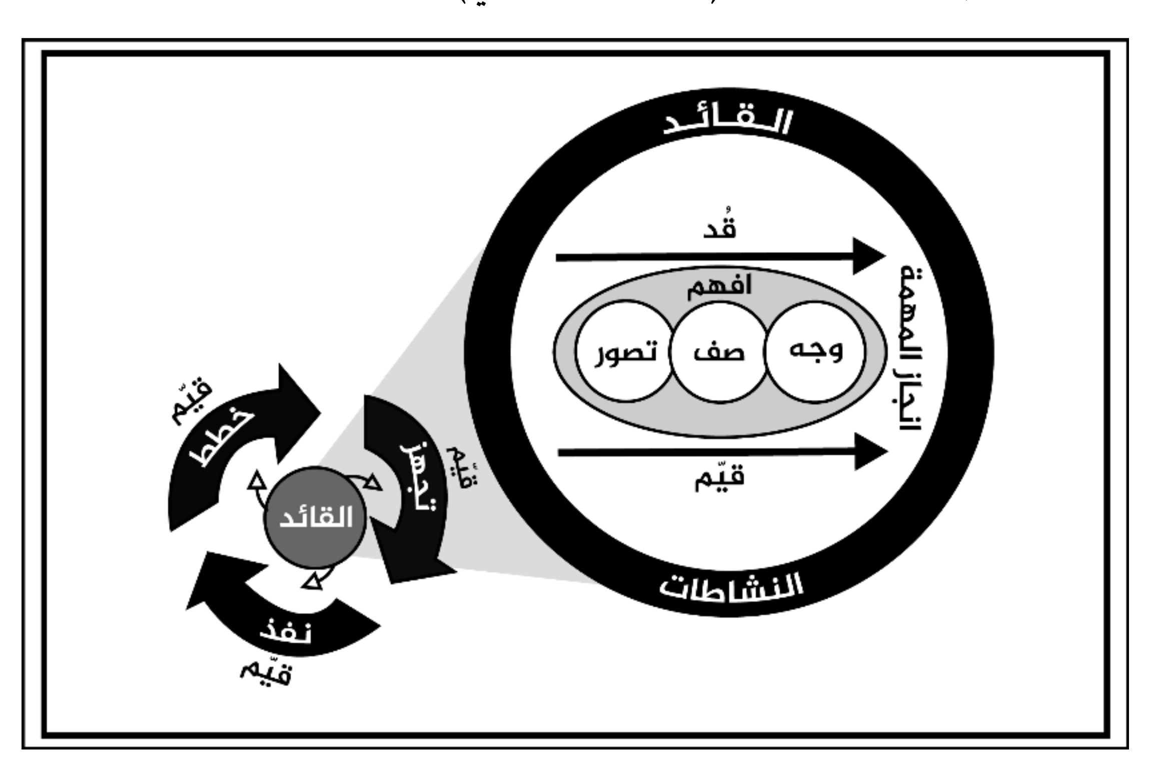
الجنود والطيارين اليابانيين إلى الانتحار بدلاً من الاستسلام لقوات الحلفاء في مسرح الحرب في المحيط الهادئ، أو تحويل أنفسهم ومعداتهم إلى قنابل حية، وهمهم فقط قتل أكبر عدد ممكن من أعدائهم بموتهم. في منطقة واحدة أخرى فقط أظهرت الحرب العالمية الثانية طبيعة وحشية ومميتة، وهي الجبهة الشرقية ذات الدوافع الأيديولوجية المتساوية حيث قام كل من النازيين والسوفييت بالتضحية بعشرات الملايين وارتكبوا فظائع مروعة في محاولة إبادة بعضهم البعض.

في الحرب العالمية على الإرهاب يواجه الغرب عدوًا غير مألوف. العدو ليس دولة وليس له أي شكل تقليدي كمنظمة. لا يستخدم هذا العدو أيضًا الوسائل التقليدية أو الأسلحة التقليدية، والأهم من ذلك فإن مقاتليه يقاتلون لأسباب يعجز الغربيون عن فهمها. لمعرفة هذا السبب، يجب على المرء أن يدرس أيديولوجية المسلحين الإسلاميين. هذه الأيديولوجية تقود المسلحين الإسلاميين وتقدم المعنى والدافع والغرض للفرد. تعجز اي سياسة مكتوبة أو غير مكتوبة عن تفسير السبب الذي يحارب من أجله المتشددون الإسلاميون، والطريقة التي يفعلون بها ذلك. بدلاً من ذلك يجب على المرء أن يحدد أساس تصميمهم ومصدر أفكارهم: الأيديولوجية.

وكما تُظهِر دراسات الحالات الثلاث جميعها، لا يمكن للسياسة وحدها تقديم تفسير لما يحفز الناس على القتال في أمثلة متنوعة مثل الثلاثة المذكورة أعلاه. فقط عامل واحد مشترك بين هذه الحالات الثلاث يمكنه ذلك "**الأيديولوجية**". في حين كتب كلاوزفيتز من منظور الإيديولوجية نفسها، فقد رسم أيديولوجيته من نفس منظور (مصدر) جميع المنظرين العسكريين المعاصرين له: **القومية**. في دراسات الحالة المذكورة أعلاه تعمل الأيديولوجية وليست القومية كمصدر للتحفيز. ومن ثم فإن الحالات الثلاث تدل على صحة أطروحة هذه الدراسة: فالمصطلح الأعم "الأيديولوجية" يمكن أن يستخدم كبديل للعنصر العقلاني – "السياسة" – في ثالوث كلاوزفيتز.

التطبيقات والتأثيرات

تسعى هذه الورقة إلى توفير فائدة عملية للممارس العسكري. لذلك فإن أي فائدة للمؤرخ أو المنظر أو عالِم الاجتماع مجرد عرضية. وبالتالي يبدو من الحكمة إظهار الآثار العملية وإمكانية تطبيق التحليل السابق. على العموم فإن النظرية العسكرية لا تخدم سوى غرضاً مهماً للممارس العسكري إذا كان بوسعه تطبيق النظرية في مجريات الحرب. في كلية الدراسات العسكرية المتقدمة بالجيش الأمريكي، يقوم الكادر العسكري والمدني بتعليم المخططين العسكريين وضباط أمريكيين وموظفين مدنيين من مختلف الوكالات الحكومية وضباط من الدول الصديقة. كنتيجة أولية للكلية، يجب أن يمتلك الخريجون والمخططون العسكريون القدرة على إجراء تخطيط مفاهيمي ومفصل باستخدام منهجية تصميم الجيش (ADM) وعملية صنع القرار العسكري للجيش (MDMP) كمكونين أساسيين لإجراءات العمليات (انظر الشكل التالي).



الشكل. إجراءات العمليات

في مجال المفاهيم وبدرجة أقل من التخطيط التفصيلي، يقدم ثالوث كلاوزفيتز – مع التعديل السابق الذكر – أفضل فائدة.

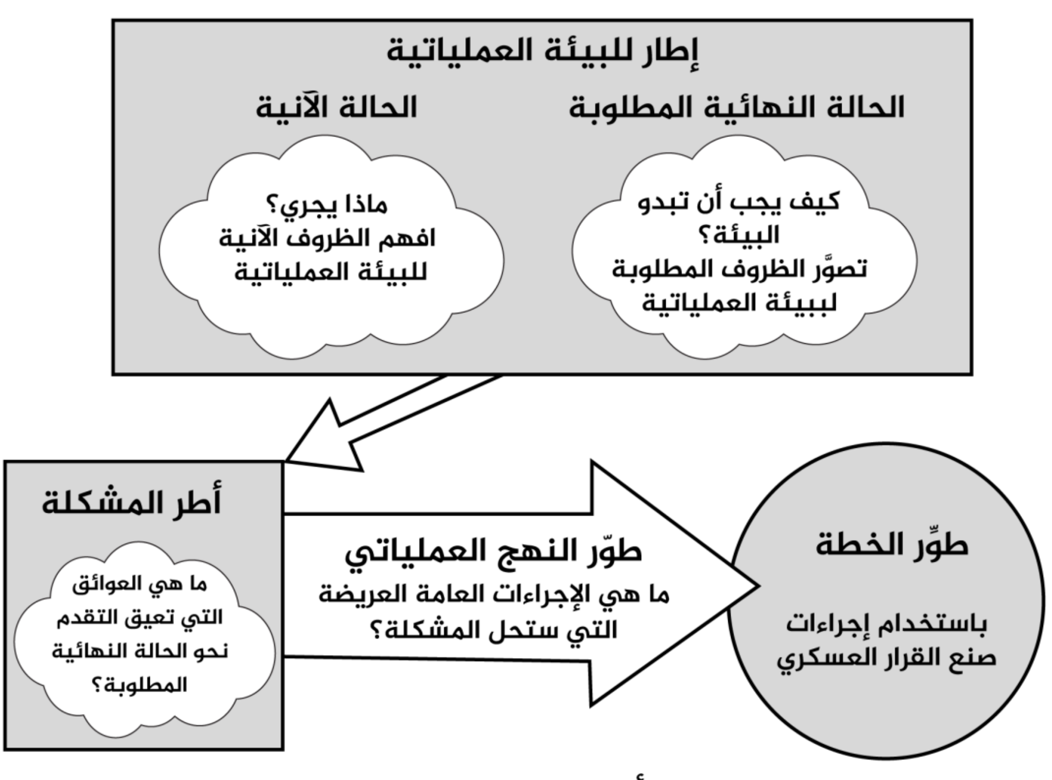
مثّل ثالوث كلاوزفيتز محاولة المنظر البروسي لتحديد المتطلبات الأساسية للنظرية العسكرية "المكونات الأساسية لكل مشكلة عسكرية" وتوضيح علاقاتها المعقدة. ويركز الثالوث على مقولة شهيرة لكلاوزفيتز "الحرب ليست مجرد عمل سياسي بل أداة سياسية، واستمرار للتعامل السياسي بوسائل أخرى". ومع ذلك يمثل الثالوث أداة محتملة للمخطط العسكري لدمجها في إجراءات العمليات. من بين العديد من مهام التخطيط الحرجة، يجب أن يحدد المخطط ويصف البيئة العملياتية. إذا واجه المخطط مشكلة مألوفة، فعادة ما يكون MDMP كافيًا لتحديد الحل. ومع ذلك في حالة وجود مشكلة غير مألوفة، يمكن للمخطط أن يتحول إلى ADM. يتطلب أي من النهجين من المخطط وصف البيئة العملياتية وتحديد الحالة النهائية المطلوبة. إن الاختلاف بين الحالة الآنية والبيئة العملياتية الآنية والحالة النهائية المرغوبة في المستقبل تمثل المشكلة العسكرية، التي يمكن أن يعبر عنها المخطط في تقرير المشكلة problem statement. ومن ثم فإن النهج المفاهيمي لحل المشكلة العسكرية هو بمثابة نهج عملياتي (انظر الشكل التالي).



الحالة الآنية مربوطة بالحالة النهائية عبر نهج عملياتي

إن النهج العملياتي والتخطيط التفصيلي اللاحق يمكّن القائد بصفته المسؤول عن عملية التخطيط من الإمساك بالمبادرة والاحتفاظ بها واستغلالها لكسب مواقع ذات تفوق نسبي مع الحفاظ عليها.

كجزء مكمل لإجراءات العمليات يقوم المخططون بإعداد التقارير والرسومات التخطيطية. يصور نموذج ADM عمليات محددة مثل التأطير والعرض البصري (النمذجة البصرية) visual modelling والبناء السردي narrative construction. لكل مرحلة من ADM (انظر الشكل التالي) يقوم المخططون ببناء نموذج مرئي وسرد.



منهجية تصميم الجيش

يوضح السرد الصور الذهنية والنماذج الذهنية التي تكون بمثابة شرط مسبق لفهم الموقف والرد عليه. عادة ما يستخدم المخططون بنى مثل المتغيرات العملياتية و/أو متغيرات المهمة لتأطير البيئة والمشكلة. يدعم النموذج البصري السرد ويوضحه.

يمثل ثالوث كلاوزفيتز (المعدل على النحو المقترح) نموذجاً يمكّن المخطّطين العسكريين من بناء وصف وتصوير للبيئة العملياتية والحالة النهائية المطلوبة. وبتقسيم الجهات الفاعلة العاملة في منطقة العمليات إلى جهات عقلانية وغير عقلانية ولا عقلانية، يمكن للمخطط أن يتوقع ردود الفعل الممكنة لمختلف الجهات الفاعلة للتغيرات في البيئة العملياتية. قد تعرض بعض الجهات الفاعلة

صفات عقلانية ولا عقلانية (متعلقة بالعواطف والأحاسيس). جميع الجهات الفاعلة بحكم تعريفها تظهر عنصرًا غير عقلاني (لا علاقة له بالعقل كالصدفة والحظ والاحتمال)؛ هذه النتائج من الحظ والفرصة كعنصر مكون (ثانوي) من الضباب والاحتكاك من الحرب. ينبغي للمرء إذن استكشاف أي العناصر تنتمي إلى مجال لا عقلاني وتحليلها وتحديدها، والتي تنتمي إلى المجال العقلاني. سوف يساعد التحليل الدقيق للأيديولوجيات الأساسية ومصدرها المخطط في هذه المهمة. **يمكن أن ينبع السلوك الغير عقلاني على ما يبدو من الأيديولوجية، ومن إحدى العناصر التي تدخل في الأيديولوجية ومن المكان الذي يستمد منه الفاعلون أفكارهم الأساسية. وهكذا يمكن للعوامل الثقافية والتاريخية والدينية، أو تأثير الشخصيات المحلية أن تلعب جميعها دوراً رئيسياً. من خلال تحديد العناصر الكامنة وراء الأيديولوجية، يمكن للمخطط تقديم تقييم مستنير بشأن السلوك المحتمل للفرد ذي الدوافع الأيديولوجية، وتقديم المشورة فيما يتعلق بإمكانية أن تكون الأيديولوجية المحددة للفاعلين بمثابة مصدر قوة باعتبارها كجزء من مفهوم المخطِط والتخطيط المفصل نحو الحالة النهائية المرغوبة. يمكن للمخطِط استخدام هذه المعرفة لتوضيح السرد والنماذج البصرية والنهج العملياتي.**

يجب إجراء دراسة أكثر تفصيلاً عن هذا التطبيق ذو الفائدة المحتملة لثالوث كلاوزفيتز المعدل كجزء من التخطيط المفاهيمي والمفصل للجيش، لاختبار مدى إمكانية تنفيذه وطريقة تنفيذه، مما يؤدي إلى إدراجه في النسخة القادمة للمذهب العملياتي للجيش الأمريكي. ومن ثم أخيراً يمكن لثالوث كلاوزفيتز تحقيق إمكاناته الحقيقية كأداة ليس فقط لكتابة وفهم النظرية، ولكن أيضًا لتوجيه أعمال المخطط والممارس العسكري.